هـذا خلاصة الكلام في مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام

تأليف الاستاذ الكامل العالم العامل

الشيخ رضوان بن العدل بيبرس الشافعي

الاشعري الخلوتي الجزري

نفع الله به آمين

﴿ وبهامشه حواش لطيفة وتحقيقات شريفة لمؤلفه حفظه الله ﴾

يا مولد المصطفى قد حزت إقبالا * بذكره يبلغ المشتاق آمالا

يا مدعي الحب فيه وهو ذو وله * وفي هواه جفا أهلا وأطلالا

مت في محبته ان كنت تعشقه * موله القلب مشتاقا وإلالا

فالنوق تعشقه وجدا وتقصده * شوقا وتطلب من نعماه افضالا

أما تراها اذا الاحت قباب قبا * تحط عنها حداة العيس أثقالا

بحقه يا إلهي جد لنا كرما * بالعفو والصفح اكراما واجلالا

فقد لجأنا الى باب الكريم ومن * يلجأ اليه يرى رحبا واقبالا

هو النبي الذي ضاء الوجود به * وفيه خالفت لواما وعذالا

صلى عليه إله العرش ثم على * أهليه والصحب آبادا وآزالا

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٣ هجرية

هذا خلاصة الكلام في مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام تأليف الاستاذ الكامل العالم العامل

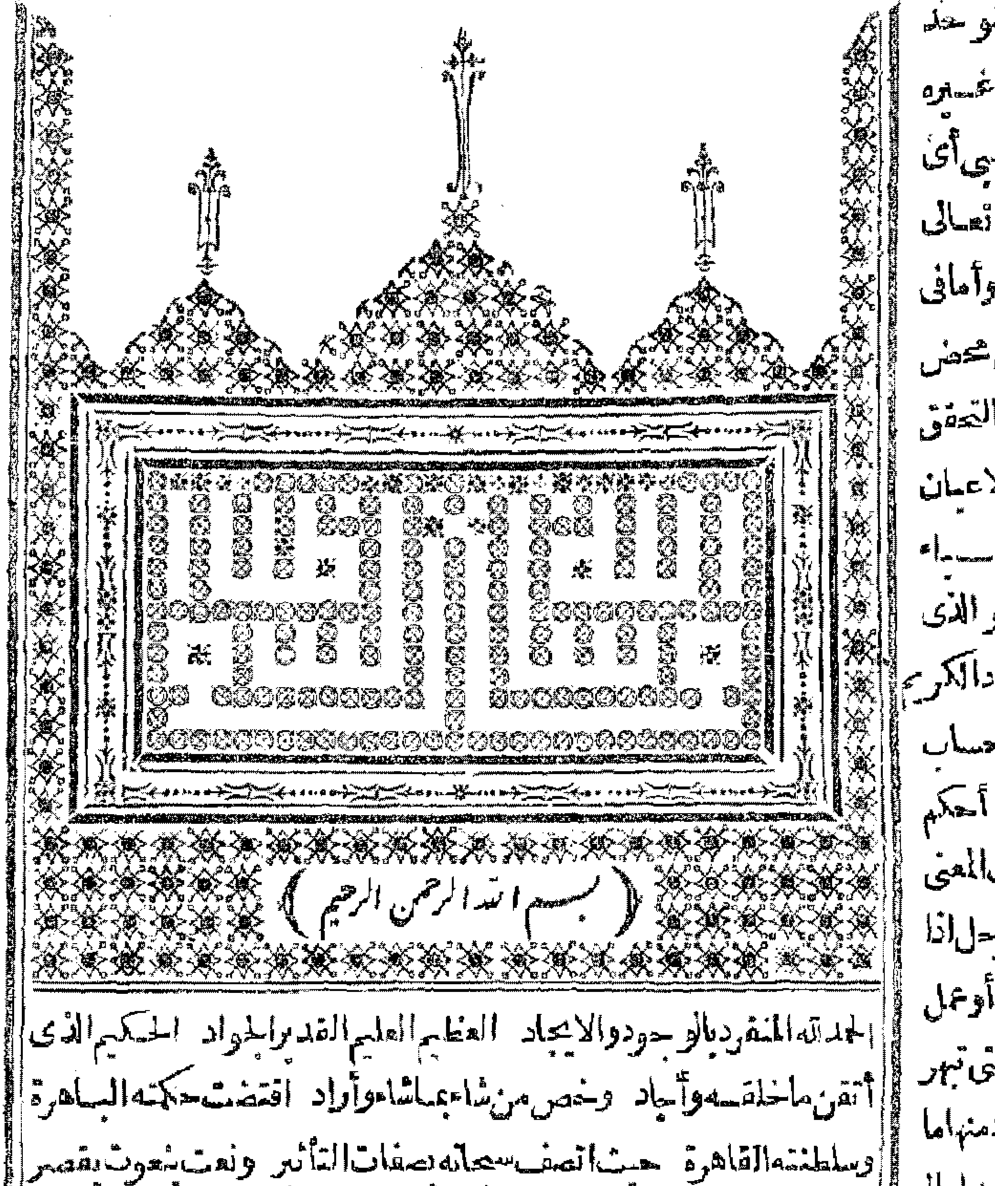
الشيخ رضوان بن العدل بيبرس الشافعي
الاشعري الخلوتي الجزري

نفع الله به آمين

﴿ وبهامشه حواش لطيفة وتحقيقات شريفة لمؤلفه حفظه الله ﴾

يا مولد المصطفى قد حزت إقبالا * بذكره يبلغ المشتاق آمالا
يا مدّعي الحب فيه وهو ذو وله * وفي هواه جفا أهلا وأطلالا
مت في محبته ان كنت تعشقه * موله القلب مشتاقا وإلا لا
فالنوق تعشقه وجدا وتقصده * شوقا وتطلب من نعماه افضالا
أما تراها اذا لاحت قباب قبا * تحط عنها حداة العيس أثقالا
بحقه يا إلهي جد لنا كرما * بالعفو والصفح اكراما واجلالا
فقد لجأنا الى باب الكريم ومن * يلجأ اليه يرى رحبا واقبالا
هو النبيّ الذي ضاء الوجود به * وفيه خالفت لوّاما وعذالا
صلى عليه إله العرش ثم على * أهليه والصحب آبادا وآزالا

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٣ هجرية



الحمد لله المنفرد بالوجود والايجاد العظيم العليم القدير الجواد الحكيم الذى أتقن ما خلقه وأجاد وخص من شاء بما شاء وأراد اقتضت حكمته الباهرة وسلطنته القاهرة حيث اتصف سبحانه بصفات التأثير ونعت بنعوت يقصر عنها التعبير أن يخلق خلقا منهم المطيع والعاصى والقريب والقاصى فبالطاعة يظهر جوده وكرمه وبالمعصية يظهر حلمه وعظمه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له المنزه فى علياء جبروته عن المماثلة والمشاكلة وأشهد

(قوله المنفرد) أى المتوحد بالوجود المطلق وأما غيره تعالى فوجوده نسبى أى بالنسبة لتجلى الله تعالى عليه بصفة الوجود وأما فى حد ذاته فهو عدم محض (قوله الوجود) هو التحقق والثبوت فى خارج الاعيان والايجاد خلق الاشياء (قوله العظيم) هو الذى لا يحاط بكنهه والجواد الكريم الذى يعطى من غير حساب (قوله أتقن) أى أحكم وقوله وأجاد يرجع فى المعنى لاتقن يقال أجاد الرجل اذا أتى بالجيد من قول أو عمل (قوله الباهرة) أى التى تبهر العقول وتغلبها اذ منها ما أدركه الخواص ومنها ما لم يدركوه (قوله وسلطنته) أى قدرته (قوله حيث الخ) تعليل لقوله اقتضت حكمته ان

وصفات التأثير هى القدرة والارادة على القول بأن التخصيص تأثير وهو الاصح وقيل انه تمييز والمراد بالجمع ما فوق الواحد وقوله ونعت بنعوت كالعفو والانتقام والحلم والجبر التام وقوله يقصر عنها التعبير أى لا يقدر أى شخص أن يستوفى الكلام على حقيقة الصفات بل الكل عاجز عن ادراك حقائقها فضلا عن التعبير به وقوله أن يخلق مفعول اقتضت والمعنى أن الحق تعالى اقتضت حكمته أن يخلق الخلق لما هو عليه من الصفات الجليلة الطالبة لذلك لظهور أثرهما (قوله والقريب) أى من الله والقاصى أى البعيد منه (قوله يظهر حلمه) أى فى الدنيا وعظمه أى فى الآخرة بالانتقام ممن عصى (قوله علياء جبروته) العلياء بضم العين مقصورا وبفتحها ممدودا ضد السفل والجبروت الكبرياء والعظمة

أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مظهر التجليات وسرّ وجود هذه المخلوقات
خاطبه الله بلولاك لولاك لما خلقت الافلاك خلقه الله نورا يتلألأ قبل
الاشياء يسبحه ويقدسه ولاعرش ولافرش ولاسماء ثم أوجد منه جميع
الكائنات من معان وذوات وأفرغ عليه النبوة وجعله سيد النبيين وآدم
بين الماء والطين ثم أظهره رحمة للعالمين وختم به المرسلين صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة تليق بجلاله وكماله وندرج بها في ضمن اله
آمين ﴿ وبعد ﴾ فيقول الفقير الى ربه المتوسل بالنبي وحزبه رضوان بن
العدل بيبرس الشافعي الأشعري الخلوتي الجزري عامله الله بلطفه الخفي
((اعلم)) هداني الله وإياك لأقوم طريق وأوردنا مناهل التحقيق أنه
لما كان المعتاد بين كل حاضر وباد التشرّف بقراءة قصة مولد المصطفى
الاعظم صلى الله عليه وسلم وكان والدي ممن يتشرّف باقرائه في بيته
ليحوز الجزيل الافخم منحه الله الرضا وعليه بدوام الاحسان أنعم وكان
مايقرؤه القارئ بين طويل ممل وقصير مخل زيادة على ما اشتملت عليه
من الالفاظ اللغوية التي يحتاج شرحها الى دراية وروية مع أن أكثر
السامعين لها العوام أحسن الله لهم الايام خطر لي أن أنظم قصة
فريدة حاوية المحاسن العديدة وكلما لويت عنان العزم لعلمي بضعف الحزم
قام داعي الأشواق لخدمة حبيب الخلاق صلى الله عليه وسلم فما زلت
كذلك والله أعلم بما هنالك حتى استأذنت الاستاذ ملاذ كل ملاذ إمام
الواصلين قدوة العارفين صاحب المشرب الفاروقي والمنهل الصديقي
القطب الفرد سيدي أبا عبد السلام الشبراوي لا زلت من فيض بحره
الفياض راوي فلما أذن لي في ذلك أيقنت بقطع المسالك وتوسلت به الى
الله أن يلغي ما أعناه فبسر توجهه حصل كمال الاسعاد وتواصلت اليّ من
جنابه الامداد ولم أنقل إلا من كتب عظيمة الشان محررة من التحريف
والنقصان كالمواهب وشرحها للزرقاني ومولد ابن حجر والعلامة الدردير
الداني والسيرة النبوية المكية ومولد المدابغي ذي المنحة السنية ومواكب
ربيع في مولد الشفيع للامام العارف ذي المعارف أستاذي وشقيق
روحي الشيخ الحلواني الخلجي وكتابه هذا هو الذي عليه محل الاعتماد وبه

(قوله لاقوم طريق) أي أعدل طريق (قوله وأوردنا) يقال أورده أي أحضره المورد وقوله مناهل جمع منهل أي مشرب والتحقيق ذكر الشيء على الوجه الحق أي هدانا الى ذكر الشيء على الوجه الحق الشبيه بالمنهل في وروده (قوله حاضر وباد) الحاضر ساكن الحاضرة والبادي ساكن البادية (قوله الجزيل) أي العطاء الجزيل أي الكثير والافخم أي الاعظم (قوله دراية) أي علم وقوله وروية أي نظر وتفكر (قوله ملاذ كل ملاذ) أي حصن كل حصن والكلام على التشبيه كما هو ظاهر بل هو حقيقة (قوله محل الاعتماد) أي موضعه

(قوله جاد) أي أعطى وأجاد أي أتقن (قوله نوري) هل المراد به روحه الشريفة أم هما متغايران قولان (قوله العرش) هو في اللغة سرير الملك وشرعا جسم عظيم نوراني علوي وليس كرويا بل هو قبة عظيمة ذات قوائم فوق السموات السبع قيل من ياقوتة حمراء (٤) وقيل من جوهرة خضراء وقيل من نور والاولى الامساك عن القطع بحقيقته لعدم القاطع لكن قال صاحب المواكب مذهب الفلكيين ومن معهم من المحققين الجامعين بين علم الظاهر والباطن أنه كروي مستدير محيط بجميع الاجسام الكرسي فما دونه وكذا الكرسي محيط بما دونه من السموات السبع والارضين السبع وكذا كل سماء محيطة بما دونها وان الله لم يخلق دنيا ولا أخرى شيأ يخرج عن دائرته أي العرش وانه منتهى علم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه اذ لم يجئ في كتاب ولا سنة أنه تعالى خلق فوقه ولا وراءه شيأ فليس وراءه جهة ولا ملا ولا خلا ولذا يسمى محدد الجهات وأما ما جاء من ذكر الانوار والشرفات

حصل السداد بل كل ما سطره قطرة من بحره أو قلادة من قلائد نحره إذ لم يسبق في هذا الشأن بمثال ولم يحكه أحد على منوال فلله در مؤلفه فلقد جاد وأجاد ووفى بالمراد

ولكم صفا لي من لديه مشرب * صبت العقول إلى حلاه مروقا
واقد أجاد فصوله إذ جادمن * عليائه بالدر اليتيم المنتقي

ثم اعلم أن هذا المقول ينحصر في سبعة فصول (الفصل الاول) في أولية خلق النور المحمدي وأنه أصل العالم وتنبيه وأخذ الميثاق منه قبل نفخ الروح في آدم (الثاني) في خلق آدم ولمعان النور المحمدي في جبينه (الثالث) في نسبه صلى الله عليه وسلم وما يتبعه من نفاسته أي النسب وطهارته وبيان نجاة كافة أصوله صلى الله عليه وسلم (الرابع) في الحمل به صلى الله عليه وسلم ووقته ومدته وما ظهر عند ذلك من دلائل نبوته (الخامس) في مولده صلى الله عليه وسلم وباهر آياته وما كان عليه عند ولادته من محاسن صفاته بعد بيان زمانه ومكانه (السادس) في رضاعه صلى الله عليه وسلم وما يتصل به إلى مبعثه الأعظم وما كان عليه من الصفات الجليلة والمحاسن الجميلة (السابع) في فضل قراءة قصة المولد الشريف وما للمتسبب فيها من الخير المنيف

(الفصل الاول)

في أولية خلق النور المحمدي وأنه أصل العالم وتنبيه وأخذ الميثاق منه قبل نفخ الروح في آدم فهذه دعاوى أربع * (أما الاولى والثانية) فدليلهما أحاديث كثيرة منها حديث أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شئ ومنها حديث عمر مرفوعا يا عمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله عز وجل أول كل شئ نوري فسجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام فأول كل شئ سجد لله نوري ولا فخر يا عمر أتدري من أنا أنا الذي خلق الله العرش من نوري

والسرادقات أي الحجب المضروبة عليه وقد روى انها ستمائة ألف سرادق والكرسي فهو من جملته اه يحمله الآن أربعة وفي الآخرة ثمانية لزيادة تجلي الجلال عليه فيها رؤسهم فوق السماء السابعة وأقدامهم في الارض السفلى وهم من أعلى طبقات الملائكة ومن أشدهم خوفا ومن أولهم وجودا وأفضل الملائكة على الاطلاق وأولهم وجودا الرؤساء الاربعة وأفضل الرؤساء

جبريل على الاضح ثم اسرافيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل وورد أن حملة العرش الآن وجه أحدهم كوجه انسان ووجه الآخر كوجه أسد ووجه الآخر كوجه ثور ووجه الآخر كوجه نسر وأن كل واحد منهم شفيع في ادرار رزق الامة التي على صورته قال ابن عباس والذى على صورة الثور لم يزل غاضباً بصره منذ عبدت بنو اسرائيل العجل لانهم عبدوا شيأ يشبهه وجاءانه يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله وان له أربعة أركان لكل ركن ثلثمائة قائمة من الياقوت كل قائمة مسيرة ثمانين ألف سنة وبين القائمتين خفقات الطير المسرع كذلك أى ثمانين ألف سنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما كل قائمة كالدنيا سبعين ألف مرة وبين القائمتين ستون ألف صحراء في كل صحراء ستون ألف عالم كل عالم كالثقلين الانس والجن وقد أمرهم الله أن يستغفروا لمحب أبي بكر وعمر قيل ومسافة الدنيا خمسمائة عام ثلثمائة منها قفار ومائة بحار وثمانون مسكن يأجوج ومأجوج وثمانية عشر مسكن السودان وعامان لغيرهم من المسلمين والكفار وقيل غير ذلك كما في المواكب وورد أيضاً ان له ألف ألف وستمائة ألف رأس في كل رأس ألف ألف وستمائة ألف وجه في كل وجه ألف ألف وستمائة ألف فم في كل فم (٥) ألف ألف وستمائة ألف لسان في كل لسان

> والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر ونور الأبصار من نورى والعقل من نورى ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نورى ولأحمد ومنها حديث جابر وقد روى بروايات شتى فنها عن البيهقى عن جابر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شئ خلقه الله قال هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شئ وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسى من

ألف ألف وستمائة ألف لغة وهو يسبح الله بتلك اللغات ومن تسبيحه سبحان القائم الدائم سبحان الدائم القائم سبحان الملك الاعظم سبحان من لا يعلم ما هو الا هو ولذلك وصفه الله بالعظيم في قوله تعالى وهو رب العرش العظيم بناء على قراءته بالجر كما هو القراءة المشهورة اه (قوله والكرسى) هو جسم عظيم نورانى بين يدى العرش متصل به فوق السماء السابعة لا يعلم حقيقته الا الله تعالى (قوله خلقه الله) أى أبدعه واخترعه من غير مادة وواسطة وغيره خلق بواسطة شئ هو وهذا معنى الاضافة في قوله من نوره في رواية أخرى فان قلت مقتضى كون النور الشريف خلق قبل الاشياء انه خلق وحده أى بلا زمان ولا مكان وكيف يعقل ذلك مع أن الجوهر لا بد له من ذلك أجيب بانه لا ضرر في ذلك لانه من الخوارق فلا يقاس بشئ مما تدركه عقولنا فاذا كان ابتداء وجوده حيث خلق بلا مادة خارجاً عن طور العقل فلا بدع أن يكون دوامه كذلك (قوله ثم جعله أربعة أقسام الخ) هذا التقسيم باعتبار شأن الرؤية والا فلا انقسام في الحقيقة لان الحقيقة الواحدة لا تنقسم وتوضيحه ان الحق سبحانه لما أراد ان يخلق ما أراد ايجاده بعد النور المحمدى تجلى عليه وهو عدم فأورثه ايجاداً ثانياً لكن بغير ظهور بل صار كالظلام ثم وجه اشراق ذلك النور اليه فتلألأ وصار نوراً مغايراً للاول في الظهور وحينئذ يرى الناظر أن النور انقسم ولا انقسام في الحقيقة فهو انقسام صورى فقط وبعض هذه الاقسام قد يكون النور الذى اكتسبه من الاصل قوياً فيشرق على حقائق أخر فتستضئ بنوره كما يشير الى ذلك قوله الآتى ثم تفرعت أرواح الانبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الاولياء فلذلك كمثل نور الشمس

يشرق فى الكواكب فتشرق فى الدنيا على القول بان الكل مستنير بنورها وليس له من ذاته نور والى هذا يشير قول البوصيرى فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم أو يقال انه زيد على الحقيقة المحمدية حقيقة من الحقائق الهبائية (أى المنسوبة للهباء على وجه التشبيه به وهو الذر المنبث فى ضوء الشمس الداخلة من طاقة مثلا) أو غيرها للاستمداد بمدده والاستضاءة بضيائه ثم خلق من ذلك الزائد الاقسام الثلاثة وبقيت الحقيقة المحمدية على ما هى عليه ثم زيد فيها وخلق وبقيت وهكذا الى آخر الاقسام و يقوى التوجيه الاول الحديث الصحيح ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة فألقى وفى لفظ فرش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل اذ يحتمل ان المراد بالخلق فيه حقائق الاشياء وان المراد فمن أصابه من ذلك النور أى بعض ذلك النور فمن بمعنى بعض فاعل أصاب اهتدى ومن أخطأه ذلك البعض ضل وان المراد   بالبعض مدد الهداية وحينئذ فلا يقال ان قوله ومن أخطأه الخ

يمنع من التقوية المذكورة وحاصله انه حين رش عم الجميع لتصلح ذواتهم وأما مدد الهداية منه فخص ولم يعم (قوله ثم جعله أربعة أقسام) أى كما تقدم وقوله فخلق القلم هو جسم عظيم نورانى لا يعلم حقيقته الا الله تعالى خلقه الله تعالى وأمره أن يكتب فى اللوح ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقد ورد أن طوله مسيرة خمسمائة عام وعرضه كذلك وروى أيضا أن طوله مسيرة سبعمائة سنة وجمع بأن الرواية الاولى فى غير بريته والثانية فى جملته وقد روى أن المداد نبع منه وأنه انشق من هيبة الخطاب حين قال الله له اكتب ما كان وما يكون الى يوم القيامة (قوله واللوح) هو جسم عظيم نورانى طوله كما بين السماء والارض وعرضه كما بين المشرق والمغرب لا يعلم حقيقته الا الله تعالى كتب فيه القلم باذن الله تعالى ما كان وما يكون الى قيام الساعة وهو اللوح المحفوظ سمى بذلك لحفظه من الشياطين وقيل لحفظه من المحو وهناك ألواح أخر هى محل المحو والاثبات هذا واعلم أن الواو لا تفيد ترتيبا اذ الصحيح بين العلماء المحققين أن أول مخلوق بعد النور المحمدى الماء ثم العرش ثم القلم ثم اللوح وترتيب ما بعد ذلك ينبغى الامساك عنه وعليه يكون الماء خلق من النور المحمدى قبل التقسيم المذكور كما يفهم مما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو انه لما أراد الله أن يخلق الماء خلق من النور ياقوتة خضراء غلظها

قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم وأقام الجزء الرابع فى مقام الحب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة والنار من قسم وأقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع فى مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع فى مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه اليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبى أو رسول ثم تنفست أرواح الانبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الاولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين الى يوم القيامة فالعرش والكرسى من نورى

والكروبيون

غلظ السموات السبع والارضين السبع وما بينهما ثم خاطبها فذابت وصارت ماء من هيبة الله سبحانه وصار الماء يرعد بضم العين وفتحها ويضطرب الى يوم القيامة فخلق الله الريح ووضع الماء عليه ثم خلق العرش فوضعه على الماء لكن هذا يقتضي خلق الريح بعد الماء وقبل العرش فكيف يحكم العلماء بأن العرش بعد الماء الا أن يكونوا رأوا أن هذا لا يعارض الاحاديث العديدة الدالة على خلق العرش بعد الماء ويدل للجمهور ما رواه أحمد والترمذي وصححه من رواية أبي رزين العقيلي أن الماء خلق قبل العرش كما في المواهب وفيها أيضا وروى السدى بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيأ مما خلق أي من جميع المخلوقات ما عدا النور الشريف قبل الماء

والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الانبياء والرسل من نوري والشهداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق الله سبحانه اثنى عشر حجابا فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرأفة والرحمة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الارض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الارض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه الى شيث ومنه الى يانش وهكذا كان ينتقل من طاهر الى طيب الى أن أوصله الله تعالى الى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه الى رحم آمنة ثم أخرجني الى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدء خلق نبيك يا جابر ﷺ (وأما الدعوى الثالثة) وهي تنبؤه صلى الله عليه وسلم وآدم بين الروح والجسد فيدل لها حديث كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد رواه الطبراني عن ابن عباس والمراد أن النبوة ثابتة له صلى الله عليه وسلم حال كون

(قوله والكروبيون) بفتح الكاف وضم الراء مشددة ومخففة هم الحافون بالعرش وهم سادات الملائكة بعد رسلهم وفي قول أن منهم جبريل واسرافيل وميكائيل وهم سبعون ألف صف يطوفون حول العرش سموا بذلك لانهم مقربون من كرب اذا قرب وقيل غير ذلك كما في المواكب (قوله والروحانيون) بفتح الراء وضمها هم ملائكة الرحمة سموا بذلك لانهم ينزلون بالروح بفتح الراء وضمها بمعنى الرحمة (قوله كنت نبيا) الاشارة فيه الى نوره الشريف وقيل الى ذريته الشريفة وقيل الى روحه الكريمة وجمع صاحب المواكب أدام الله النفع به بأنه يحتمل أن ذريته الشريفة اشتملت على نوره وروحه فصارت متحدة وأفرغت عليها النبوة لا يقال إن النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا بلغ أربعين سنة لان ذلك في نبوة الذات المحسوسة في دار الدنيا بعد آدم عليه السلام (قوله والمراد الخ) أو يقال المعنى أن النبوة ثابتة له صلى الله عليه وسلم وآدم لا روح ولا جسد فالمراد بالبينية عدم الطرفين كما يقال مسكنى بين البصرة والكوفة أي ليس فيهما ويؤيد هذا ما روى أول ما خلق الله النور المحمدى وأفرغ عليه النبوة وكان الله ولا زمان ولا مكان ولا شمس ولا قمر الحديث وبحث فيه صاحب المواكب بأنه لا مانع من كون النبوة أفرغت عليه مرتين مرة في ابتداء خلقه وحين استعد لقبول التشريفات

آدم طينا اذ هو حينئذ لا روح فقط لوجود صورته طينا ولا جسد لانه لم يكن جسدا الا بعد صيرورة الطين حمأ ثم صلصالا ثم جسدا كما يأتى ويؤيده ما صححه الحاكم إنى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته فان معنى انجداله فى طينته أنه طريح على الجدالة أى الارض فى طور الطينة قبل نفخ الروح فيه واذا علمت ذلك وعلمت أنه نبى من هذا الوقت علمت صحة القول بأنه كما هو رسول الى هذه الامة رسول الى الانبياء والأمم السابقة قال السيوطى فى الخصائص كان السبكى يقول كان نبينا صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء وكانوا كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبى يبعث بطائفة من شرعه لا يتعداها انتهى ويشهد لذلك أحاديث وآيات كثيرة ذكرها صاحب المواكب ۞ (وأما الدعوى الرابعة) وهى أخذ الميثاق منه صلى الله عليه وسلم بربوبيته تعالى وآدم بين الروح والجسد فيدل لها كالثالثة ما رواه ابن سعد عن الشعبى قال قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ منى الميثاق أى بعد استخراجه صلى الله عليه وسلم من آدم عليه السلام كما دلت عليه الاحاديث والآيات فحين كان آدم طينا أخرج منه نبينا صلى الله عليه وسلم ونبئ وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الى آدم واستخرج ثانيا بعد حياة آدم مع سائر الارواح للعهد العام فاختص صلى الله عليه وسلم باخراجه من آدم مرتين وذلك أن الله سبحانه خلق من الارض حقائق كالذر أى صغار النمل التى كل مائة منها تزن حبة شعير بعدد بنى آدم وركب فيها أرواحها وأدرجها فى طينته ثم أخرج منها نبينا صلى الله عليه وسلم وحده وأخذ عليه العهد بربوبيته تعالى وأعاده اليها ثم أخرجه ثانيا مع جميع الذرات والارواح بعد نفخ الروح فى آدم للعهد العام وكان ذلك يوم عرفة ببطن نعمان الاراك أخرجهم من مسام ظهره

الالهية ومرة فى حال كون آدم طينا اعلاما بعظيم شرفه وقد عهد تكرر الشئ من كمالاته صلى الله عليه وسلم لمزيد العناية به كشق صدره وختمه بخاتم النبوة كما يأتى (قوله لانه لم يكن جسدا الخ) اذ الجسد جسم الانسان كما فى القاموس وهو فى حال كونه طينا لم يكن انسانا كما هو ظاهر (قوله فى طور الخ) أى فى حال الطينة أى فى حال كونه طينا (قوله الى هذه الامة) أى انسها وجنها بل والملائكة أيضا بل وجميع الحيوانات والجمادات فهو صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجميع ارسال تكليف لكن كل مكلف بتكليف يليق بحاله (قوله وآدم بين الروح الخ) يحتمل أن يكون تنبؤه وأخذ الميثاق منه صلى الله عليه وسلم قبل ادراجه فى طينة آدم ويحتمل أن يكون بعده لكن المتبادر هو هذا أخذا من آية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية مع ما روى عن سلمان وغيره ان استخراج ذرية آدم منه لاخذ الميثاق كان قبل نفخ الروح فيه وعليه جاءت آية ولقد خلقناكم ثم صورناكم لكن ما روى عن سلمان رضى الله عنه محمول على خصوصه صلى الله عليه وسلم لدلالة أكثر الاحاديث على ان استخراج الذرية من آدم للميثاق كان بعد نفخ الروح فيه (قوله نعمان الاراك) بفتح النون واد وراء عرفة كثير الاراك وقيل هو عرفة ولذا تحن اليها النفوس لانه أول مواطنها (قوله أخرجهم من مسام ظهره) وذلك ان الله تعالى مسح ظهر آدم كما فى الحديث أى أمر ملكا فمسحه اذ لا اتصال بين الحادث والقديم وأخرج منه ذريته كهيئة الذر ثم يحتمل انه أخرج من ظهره أولاده لصلبه ثم أخرج منهم أولادهم ثم أخرج من أولادهم أولادهم وهكذا ثم

ويحتمل انه أخرج الجميع من بعضهم وهم في صلبه ثم أخرج الجميع من صلبه مرة واحدة كأن أخرج دراهم من كيس داخل صندوق ثم أخرج الجميع من الصندوق مرة واحدة (قوله فقالوا الخ) وأول من قال بلى نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله بلى) هي حرف جواب مختص بالنفي مفيد لابطاله مجردا كان أو مقرونا (٩)

ثم لما انحصروا جميعا أمام آدم وقد خلق الله فيهم الحركة والعقل والفهم والكلام قال الله تعالى ألست بربكم فقالوا جميعا بلى أي أنت ربنا لكن تجلى للكفار بالهيبة فقالوها خوفا فلم يك ينفعهم إيمانهم وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوها طوعا فنفعهم إيمانهم وهذا أول ما كلفت الارواح ولما انتهى أمر العهد حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها في الملكوت وأعيدت الذرات الى صلب آدم الا ذرة عيسى عليه السلام وروحه فدفعهما الله الى جبريل فأسكنه في الملكوت فكان يسبح الله ويقدسه الى أن أمر الله جبريل بنفخه في جيب مريم لخلق بلا توسط نطفة فلذا سماه روحا دون غيره فقال فيه وروح منه ثم رفعه الله الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية وكان مكثه في الارض بقدر ما فيه من الطين ولما أعيدوا الى صلب آدم وأبطل الله ما ركبه فيهم من العقل والفهم توالدوا ناسين لذلك العهد لحكمة إلهية ولكن الله تعالى أبتدأهم بالخطاب على ألسنة الرسل فقام ذلك مقام تذكره فمن أنكره كان معاندا ناقضا له اللهم إنا نسألك بحرمة هذا النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم أن توفقنا لما تحبه وترضاه وترزقنا رضاك ورضاه وفيه صلى الله عليه وسلم يقول صاحب الانسان الكامل من قصيدة

حيا الاله أحبتي وسقاهم * غيثا يجود بوبله سكانه
يحيا به الربع الخصيب ولم يزل * حيا تميس بورقه أغصانه
عبد الذات الحق كيف شيمه * خط السنين وأحمد نيسانه
أو كيف يظمأ وفيه دواليم * بحر يموج بدره طفحانه
شمس على قطب الكمال مضيئة * بدر على فلك العلا سبرانه
ليس الوجود بأسره ان حققوا * الا حبابا طفحت ددنانه
الكل فيه ومنه كان وعنده * تفنى الدهور ولم تزل أزمانه

بالاستفهام التقريري كما هنا بخلاف نعم فانها حرف جواب لتصديق الخبر بنفي أو ايجاب (قوله الى مكامنها) هي ثقب الصور كما في الابريز (قوله ناسين الخ) ومنهم من أصفى الله مرآة بصيرته فلم ينسه فقد سئل ذو النون المصري هل تذكر الميثاق فقال كأنه الآن في أذني وكان علي كرم الله وجهه يقول اني لأذكر العهد الذي عهد الي ربي وأعرف من كان هنالك عن يميني ومن كان عن شمالي (قوله نيسانه) هو سابع الاشهر الرومية وهو بعد آذار يوافق أوله اليوم السادس من برموده ولما كان في هذا الشهر يظهر خير الارض من الغلال وغيرها صح اطلاق اسمه على ما يظهر فيه من الحل اطلاقا لاسم المحل على الحال فيه أي كيف يخاف من خط السنين وأحمد صلى الله عليه وسلم كنزه العظيم وخيره الجسيم والله أعلم (قوله الا حبابا) الحباب النفاقيع أي الرغاوي التي تعلو على وجه الماء كأنها قوارير أي أواني من الزجاج (قوله سبرانه) قال في القاموس السبر الاصل واللون والجمال والهيئة الحسنة ويكسر اه المراد منه فيصح ارادة المعنى الثالث والرابع هنا والالف والنون زائدتان والله أعلم

(٣ – خلاصة)

فانخلق تحت سماء علاه كخردل * والامر يبرمه هنالك لسانه

والملك والملكوت في تياره * كالقطر بل من فوق ذلك مكانه

وتطيعه الاملاك من فوق السما * واللوح ينقش ما قضاه بنانه

الله حسبي ما لاحمد منتهى * وبمدحه قد جاءنا فرقانه

صلى عليه الله مهما زمزمت * كلم على معنى يريح بيانه

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله وسلم كذلك والحمد لله رب العالمين

(الفصل الثاني)

(في خلق آدم عليه السلام وما يتبعه)

اعلم أن أول ما خلق الله في الارض خلق يقال لهم الحن فلما عصوا اسلط الله عليهم البن فأهلكوهم وسكنوا الارض ثم لما عصوا اسلط الله عليهم الجن فأهلكوهم وسكنوا الارض وكان فيهم ملك يأمرهم وينهاهم ولم يكن نبيا خلافا لبعضهم ثم لما اقتتلوا وعصوا اسلط الله عليهم طائفة من الملائكة يسمون الجن أيضا لانهم كانوا خزنة الجنة وهم ابليس وجنوده وكان هو رئيسهم فقاتلهم بعسكره حتى أخرجهم من الارض وألحقهم بجزائر البحور وبقيت الارض خالية وقد سبق في علمه تعالى أن يخلق آدم لما رتبه على خلقه من المصالح والحكم التي أعظمها أن يوجد منه سيد الخلق أجمعين بل روى أن آدم رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مقرونا باسمه تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو فقال تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والارض لشفعناك ولما أراد الله سبحانه أن يخلق آدم عليه السلام قال للملائكة تعليما للمشاورة وتعظيما لآدم إني جاعل في الارض خليفة أي يخلفني في تنفيذ أحكامي بين المكلفين فيها وكان آدم مع كونه خليفة رسولا مكرما خلافا لمن نفى رسالته فكان من جوابهم أن قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أي كالجن

(قوله زمزمت) الزمزمة صوت بعيد له دوي كما في القاموس أي ما صوتت كلم على الاسناد المجازي أي ما تكلم المتكلم على معنى الخ أي لاجل معنى يريح الخ فعلى بمعنى اللام والله أعلم (قوله في خلق آدم الخ) انما اعتادوا أن يذكروا هذا الفصل في الموالد لما فيه من الامور المتعلقة بنوره صلى الله عليه وسلم فهذه هي المناسبة (قوله أول ما خلق الخ) لكن في عقد المرجان وغيره ان الحن بكسر الحاء المهملة نوع من الجن قيل كلابهم وقيل سفلتهم وضعفاؤهم وفي كلام بعضهم أن ما يقال من أن الحن بالمهملة والطم أمتان قبل آدم ضعيف متروك لكن لا يخفاك أن المثبت مقدم وكون كلاب الجن أو غيرهم تسمى بذلك لا ينافي كون هذا الاسم لغير ما ذكر (قوله البن) بكسر الموحدة كما أن الحن بكسر المهملة (قوله ملك) بكسر اللام (قوله لو تشفعت الخ) وتشفعه به كان من أكلة الشجرة التي هي في الظاهر مخالفة وفي الباطن واجبة كما سيأتي (قوله أي يخلفني الخ) وقيل المراد يخلف الجن الذين كانوا قبله فافسدوا فيها والظاهر أن المخاطب جميع الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل هم الذين حاربوا الجن وقيل الذين ملائكة السموات وقيل ملائكة الارض (قوله أتجعل فيها الخ) ليس قولهم ذلك اعتراضا على الله تعالى ولا طعنا

في آدم بل طلبا لكشف ما خفي عليهم من الفضائل التي في الخليفة التي جعلته أهلا لذلك لأنهم لما علموا أن الجن
حصل منهم ذلك تلفظوا به ليظهر لهم غيره من الفضائل واستكشافا عما خفي عليهم من المصالح والحكم التي
تقابل المفاسد التي عرفوها من الجن كيف وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون والغرض
من قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك بيان أنهم أحق بالخلافة على ما ظهر لهم فهو مرتب على الشق
المذكور من شقي الاستفهام أي أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فيكون أحق منه بالخلافة لكوننا
نسبح بحمدك ونقدس لك أم هو غير متصف بهذه الصفات فيكون أحق بها والله أعلم (قوله إني أعلم) أي من
شأنه ما لا تعلمون (قوله من أجزاء الارض) روي عن عبد الله بن سلام (١١) رضي الله عنه مرفوعا أن وجهه
من تربة الكعبة وصدره
وظهره من بيت المقدس
وفخذيه من أرض اليمن
وساقيه من أرض مصر
وقدميه من أرض الحجاز
ويده اليمنى من أرض المشرق
ويده اليسرى من أرض
المغرب ولذا قيل إنه خلق
من أديم الارض كلها أي
ظاهر وجهها قيل ولذا سمي
آدم وقيل بل من الادمة
وهي السمرة والمراد بها لون بين
الحمرة والبياض شديد
النقاوة وهو أحسن الالوان
ومن ثم كان عليه السلام
أحسن الناس حاشا نبينا
المنزه عن شريك في محاسنه صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية أن يوسف أعطي ثلث حسن آدم وفي أخرى نصفه
مع أن يوسف عليه السلام لما ورد مصر مكث أهلها أربعة أشهر لا غذاء لهم إلا النظر إلى وجهه فكانوا
إذا جاعوا نظروا إليه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو تقطيع
النسوة أيديهن لانبهار عقولهن بجماله حتى ما أحسسن بذلك وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أجمل الجميع إلا أنه
حجب جماله بالجلال فلم يفتتن به والمختار أن لفظ آدم أعجمي لا اشتقاق له (قوله والحزن) بفتح فسكون ما غلظ من
الارض والكلام على التشبيه (قوله سلطتك الخ) حكمة ذلك أن من قبض أمانة عليه تسليمها وهو كما يقبض
أرواحهم يقبض أرواح سائر المخلوقات خلافا للمبتدعة حيث خصوه بالثقلين

الذين نفوا من الارض فقال تعالى إني أعلم ما لا تعلمون فخلقه الله تعالى من
أجزاء الارض كلها كما في الحديث الصحيح ان الله تعالى خلق آدم من قبضة
قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الابيض
والاحمر والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك اهـ
ولما أراد الله تعالى أن يقبض قبضة آدم من الارض أوحى إليها إني خالق
منك خلقا منهم من يطيعني فأدخله الجنة ومنهم من يعصيني فأدخله النار
فقالت أتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت فانفجرت منها العيون إلى يوم
القيامة ثم أرسل جبريل ليقبض منها فقالت أعوذ بعزة الله الذي أرسلك
أن تأخذ مني شيئا يكون للنار فرجع وقال يارب استعاذت بك مني فكرهت أن
أقدم عليها فأرسل إليها ميكائيل فرجع بمثل ذلك ثم عزرائيل فاستعاذت فقال
وأنا أعوذ بعزة ربي أن أعصي له أمرا ثم أمسكها وهزها من مشرقها إلى مغربها
حتى اختلط بعضها ببعض ثم قبض قبضة من جميع أنواعها ولما صعد عزرائيل
بالقبضة قال الله تعالى أما استعاذت منك قال بلى قال فهلا رحمتها قال يارب
طاعتك أوجب علي من رحمتي لها قال اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على
قبض أرواحهم لقلة رحمتك فبكى وقال يارب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء

(قوله يتسمون) بضم السين وكسرها (قوله لازبا) أي لازما ثابتا يلصق بما يمسه للزوجته وجودته وقوله حما أي طينا اسود كريه الريح لطول مجاورته الماء وقوله مسنونا أي مصورا مأخوذ من سنة الوجه أي صورته وعليه يكون آدم صور من حينئذ وبعضهم قال إنه لم يصور الا بعد ان كان صلصالا ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والجبلة إذ الصلصال لا ينقاد ولا يتأتى تصويره وفسر المسنون بالمصبوب كالمفرغ في قالب ليبيس فتثبت فيه الصورة من سنه أي صبه لكن المختار الاول وأنه صور حال كونه حمأ إذ هو المصرح به في الحديث وقوله صلصالا أي طينا يابسا يصلصل أي يصوت إذا نقر ليعلم هل به عيب أولا ولذا قال كالفخار وهو ما طبخ من الطين مجوفا وهو يشير الى أنه كان أجوف (قوله مسنونا) أي مصورا وأول ما صور منه فرجه فقال هذه أمانتي عندك فلا تضعها الا في حقها وأما أول ما يتشكل من الجنين فعجب الذنب كما في حديث مسلم (قوله وهو بين مكة والطائف) وفي خبر ان الفاء ثلاث الاربعين أي التي بعد التصوير وقبل نفخ الروح كان على باب الجنة وكذا جاء في أثر عن ابن عباس لكن المشهور في التفسير ما في الصلب من أنه كان في الارض وكلاهما صريح في أنه صور خارج الجنة وظاهر آية اسكن أنت وزوجك الجنة أنه لم يدخل الجنة الا مصورا حيا وورد أيضا في السنة ما يؤيد هذا نعم صح مرفوعا لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطيف به بضم التحتية ينظر اليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك فقبض أي لا يملك نفسه رواه مسلم وغيره فظاهره أن تصويره وحياته كانا بالجنة واليه ذهب الجمهور وقد يجمع بأن معنى تصويره في الارض أن طينته خمرت فيها وتركت حتى استعدت لقبول الصورة فحملت الى باب الجنة فصورت هنالك وتركت حتى نفخ فيها الروح وهو المراد من تصويره ونفخ روحه فيها إذ بابها قريب منها فكأن ذلك فيها فلم ينافه أنه لم يدخلها الا بعد حياته كما هو ظاهر الآية السابقة والله أعلم بحقيقة الحال وقد يقال ان المراد بباب الجنة في بعض الروايات وبالجنة في بعضها الآخر هو عرفة اذ هو سبب في دخولها أي لما كانت عرفة شهوده وحضوره في وقته سببا في دخول الجنة كان كأنه هي فساغ التعبير عنه تارة بأنه باب الجنة وتارة أخرى بأنه الجنة والله أعلم (قوله كانت تراه الملائكة الخ) ورد أن ابليس قال لهم أرأيتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال في نفسه والله لئن فضل هذا علي لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسره ابليس من المعصية (قوله الرقيع) بالقاف أي السماء سميت بذلك

> وأصفياء ومرسلين وانك لم تخلق خلقا أكره اليهم من الموت فاذا عرفوني أبغضوني وشتموني قال اني سأجعل للموت عللا وأسبابا وأمراضا ينسبون الموت اليها ولا يذكرونك معها فخلق الله الاوجاع ثم عجنت القبضة بماء الجنة حتى صارت طينا لازبا ومكثت أربعين سنة حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت كذلك أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار ثم تركت أربعين سنة ونفخت فيها الروح فكانت جسدا وبعد تصويره وقبل نفخ الروح فيه وهو بين مكة والطائف ببطن نعمان كانت تراه الملائكة وتتعجب من حسن صورته اذ لم يروا مثل هذا وقال كعب الاحبار لما أراد الله أن يخلق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الاعلى

لترقيعها بالنجوم والاعلى السابعة (قوله بماء التسنيم) هو أرفع شراب فى الجنة والتسنيم عين تجرى من فوقهم تسنمهم فى منازلهم أى تنزل عليهم من عال يقال تسنم الفحل الناقة اذا علاها وقوله معين بفتح الميم من معن يمعن معونا اذا جرى واذا كثر واذا عذب (قوله وبعد أن أخذها الخ) اعلم ان لكل انسان ذرة وقبضة فالذرة هى المخلوقة مع آدم المودعة فى طينته التى أخرجت منه لاخذ العهد(١٣)وأعيدت الى صلبه كما تقدم فهذه تنزل مع المنى فى الرحم فكل انسان فى صلبه ذرة أولاده وفى ذرة أولاده ذرة أولاد أولاده وهكذا الى آخر عقبه والقبضة هى ما يؤخذ من مدفن الشخص فيذر عند الحمل به على نطفة أبيه المشتملة على ذرته ولعله انما ذر عليها الاجل تنمية الذرة التى معها أو ليسوق الشخص الى مدفنه بسر الهى كما تشير اليه الاحاديث واعلم أيضا أنهم اختلفوا فى قبضة النبى صلى الله عليه وسلم هذه فقيل كما فى الصلب انها عجنت بطينة آدم وعليه فهى الذرة وهو الظاهر وقيل انها ادخرت الى أن مزجت بماء سيدنا عبد الله الذى انعقد صلى الله عليه وسلم منه عند حمل أمه به وعليه فهى غير الذرة ويكون من خصائصه صلى الله عليه وسلم سبق أخذ قبضته على وقت الحمل به تشريفا له واعتناء بشأنه صلى الله عليه وسلم والله أعلم (قوله من يأفوخه) بالهمز هو وسط الرأس حيث يكون لينا من الصبى ومنه تخرج أيضا وأما فى الشخص فمنه عند خروج روحه فقيل اشدة ما يراه من الهول (قوله فطافوا به الخ) وقد تكرر الطواف به فقد طافوا به ثلاث مرات الاولى على سرير الكرم وهو من ذهب وقيل من ياقوتة حمراء له سبعمائة قائمة والحامل له الاربعة المقربون ولذا تحمل جنازة ذريته على أربعة وبذا يعلم أنه سرير حقيقى لا تمثيلى والثانية

فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم وغمست فى معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى وفى السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلائق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم أبا البشر عليه السلام انتهى وأصل هذه القبضة من محل الكعبة الشريفة موج بها الماء الذى كان عليه العرش قبل خلق الاشياء كما قال فى عوارف المعارف إنه قيل ان الماء أى الذى كان عليه العرش لما تموج رمى الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة النبى صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذى تربته بالمدينة انتهى وهى التى أجابت فى الارض هى وما حاذاها من السماء أتينا طائعين كما قاله بعض العلماء احتمالا وبعد أن أخذها جبريل عجنت بطينة آدم كما فى العرائس ولما أمر الله تعالى الروح بالدخول فى جسد آدم قالت كيف أدخل فى المكان الضيق وتأخرت فأمرها ثانيا وثالثا فلم تدخل فقال فى الرابعة ادخلى كرها وستخرجين كرها فدخلت من يأفوخه على المشهور وكان كل عضو تسرى اليه يصير لحما ودما وعصبا وعظما فكان سريانها فيه تدريجيا لا دفعيا واستوى عند وصولها آخر قدميه بشرا سويا وذكر غير واحد أنه تعالى جعل جلده حلة من ظفر كانت تزداد عليه كل يوم حسنا وضياء وألبسه نورا كنور الشمس وكساه من حلل الجنة وتوجه بتاج من ذهب أحمر مرصع بالدر والجوهر وجعل فى أذنه القرط وفى يده السوار وفى اصبعه الخاتم وفى وسطه النطاق فظهر فى أحسن تقويم وأمر الملائكة فطافوا به فى السموات مقدار مائة عام ليقف على آياتها وعجائبها فيزداد يقينا

على أكتاف الملائكة بالنون أى أجنحتهم فان كنف الطائر جناحه ويحتمل أنه بالفوقية جمع كتف لان لهم قوة التشكل والثالثة على الفرس الميمون وهو من المسك الاذفر بالذال المعجمة أى شديد الرائحة والمراد الرائحة الطيبة لانه وصف للمسك (قوله ستين ذراعا) وكل ذراع من هذه ميل ونصف بدليل ما أخرجه أبو نعيم عن سعيد بن جبير رضى الله عنه كان يقول ان طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلا وطول المرأة ثمانون ميلا وقد صرح فى الاحاديث بان طول أهل الجنة على طول آدم ستون ذراعا فاذا كان الستون ذراعا تسعين ميلا كان كل ذراع ميلا ونصفا والميل ستة آلاف ذراع والذراع قدمان من أقدامنا والقدم اثنا عشر اصبعا فيكون طوله كطول كل واحد من أهل الجنة خمسمائة ألف ذراع وأربعين ألف ذراع ولذا كان موضع قدمه سبعين ذراعا وكانت خطوته ثلاثة أيام هذا وقد اختلف فى آدم هل كان على هذا القدر من أول نشأته أم لا ذهب بعضهم الى الاول

بدليل حديث خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا بناء على أن ضمير صورته عائد على آدم وبعضهم الى الثانى بدليل ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان آدم حين أهبط كان يمسح رأسه السماء فمن ثم صلع بكسر اللام وأورث ولده الصلع بفتحها ونفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشا من حينئذ وكان وهو على الجبل أى الذى نزل عليه من السماء كما يأتى يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة فحط من طوله ذلك الى ستين فكان ذلك طوله حتى مات وأما الضمير فهو عائد على الله بدليل رواية الطبرانى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن

وكان طوله ستين ذراعا وعرضه سبعة وكان النور المحمدى يتلألأ فى جبهته فيغلب على نوره وفى بحر العلوم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما جعل نوره صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم صار يتلألأ فكانت الملائكة تقف خلفه صفوفا ينظرون الى تلألئه فقال يارب مابال الملائكة ينظرون الى ظهرى فقال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذى أخرجه من ظهرك فقال يارب اجعله أمامى كى تستقبلنى الملائكة فنقله الى وجهه فكان يلمع فى جبينه فصارت الملائكة تقف أمامه فقال يارب اجعله فى موضع أراه فجعله فى سبابته أى سبابة يمناه فكان آدم ينظر الى حسن ذلك النور فلما أهبط آدم الى الارض ومارس أعمالها انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع فى جبهته ثم أراد الله اظهار ماخفى على الملائكة من الفضائل التى فى الخليفة عليه السلام فعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض المسميات على الملائكة وسألهم عن أسمائها فاعترفوا

وعليه فالصورة بمعنى الصفة من الحياة والعلم والسمع والبصر وغير ذلك وان كانت صفاته تعالى لا يشبهها شئ (قوله سبابة يمناه) وفى رواية أنه لما انتقل الى سبابته قال يارب هل بقى من ذلك النور شئ فى ظهرى فقال نعم نور أخصاء أصحابه فقال يارب اجعله فى بقية أصابعى فجعل نور أبى بكر فى الوسطى ونور عمر فى البنصر ونور عثمان فى الخنصر ونور على فى الابهام فكانت أصابع آدم تتلألأ بالنور فلما أكل من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره (قوله الاسماء كلها) أى أسماء كل شئ من شريف ووضيع أى جميع ما أراد الله ايجاده على الراجح وقوله ثم عرض المسميات أى من معان وذوات اذ المعانى فى عالم الملكوت متشكلة بحيث ترى كما قرره بعض المحققين (قوله ثم عرض المسميات) قبل خلقها كامثال الذر كما فى الحديث حتى شاهدوها هذا فى الذوات التى تشاهد وأما المعانى كالسرور والحزن والعلم والجهل فألهمهم اياها حتى فهموها دون أسمائها فكان آدم يعرف الاسماء

ومسمياتها والملائكة تعرف المسميات دون الاسماء أو يقال إن المعاني متشكلة في عالم الملكوت كما تقدم (قوله يقول هذه ناقة الخ) ويقول وهو من خلق ربي فكل شيء سمى آدم فهو اسمه الى يوم القيامة (قوله فلما أنبأهم الخ) فان قلت اذا لم تعرف الملائكة الاسماء فكيف عرفوا أنه أصاب فيما ذكره من أن هذه أسماء هذه قلت لما كان قوله ذلك ناشئا عن أمر الله له بالقول كان صدقا مطابقا للواقع والا كان القول حينئذ عبثا والله لا يأمر به (قوله ثم أمرهم بالسجود) أي بعد انبائه بالاسماء وقيل عقب خلقه يدل للاول آية واذ قلنا للملائكة اسجدوا الخ اذ سياقها بعد ذكر الانباء يشعر بذلك وقيل وقع الامر بالسجود مرتين والله أعلم واختلف هل كان السجود قبل دخوله الجنة أو بعده وهل كان في الارض أو في السماء والظاهر انه كان قبل دخول الجنة اذ كان الامر بدخولها بعد ذكره وانه كان من ملائكة السماء فيها ومن ملائكة الارض فيها لكون الساجد جميع الملائكة والله أعلم وكان ذلك يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر وكانه غير يوم الجمعة الذي خلق فيه ادم فقد ورد أنه خلق آخر ساعة منه وانه كان مقدار ألف سنة (قوله تحية) أي تكرمة له على الخصوص كسلامهم عليه وكذا كان سجود اخوة يوسف له وقد كانت الامم تفعل ذلك (١٥) كما يحيي المسلمون بعضهم بالسلام

> فاعترفوا بالعجز قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم فحينئذ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فجعل يدعو كل شيء باسمه وهو يمر بين يديه يقول هذه ناقة هذا جمل هذا كذا هذا كذا الى آخرها فلما أنبأهم بأسمائهم قال الله سبحانه للملائكة ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ثم أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحية لا سجود عبادة على الاصح فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر فكان من الكافرين

وهو كسجود الصلاة كما قاله الجمهور خلافا لمن قال المراد به معناه اللغوي من التذلل والانحناء كما يفعل للعظماء (قوله فكان من الكافرين) ليس كفره من مجرد ترك السجود لانه وان كان معصية لا يكفر مرتكبه بل لتعاظمه على أمر ربه واستقباحه اياه ونسبته تعالى الى الجور ومخالفة الحكمة حيث أمره بالسجود لمن هو دونه على زعمه وهو من الملائكة على الراجح وليس من الجن الذين كانوا في الارض بل كان من الطائفة المسماة بالجن كما تقدم لكونهم خزنة الجنة فلا يرد قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لما علمت وهذه الطائفة من الملائكة المسماة بالجن يتوالدون كما قال ابن عباس وقال ابن مسعود انهم خلقوا من مارج نار السموم الذي يقال له لسان النار وهو ما يعلو منها اذا التهبت بلا دخان فلا يرد أن لابليس ذرية كما في القرآن والملائكة لا ذرية لهم ولا أنه مخلوق من النار والملائكة مخلوقون من غيرها كالنور والريح والماء والثلج وقال بعضهم معنى قوله تعالى كان من الجن أي فعلا ومن الملائكة نوعا فان قلت الملائكة معصومون فكيف عصى ابليس وهو منهم قلت الاتفاق انما وقع على عصمة الرسل منهم وفي غيرهم خلاف فذهب ابن عباس رضي الله عنه في طائفة الى عدم عصمة هذه الطائفة التي منها ابليس وان كان الغالب فيهم العصمة على ان عصمة الملائكة مشروطة بدوامهم على صفة الملكية أما بعد سلبها فيمكن أن يخالفوا كهاروت وماروت هذا والمشهور الذي ذهب اليه الكثير انه أبو الجن والشياطين عصاتهم وفي الحديث لما أراد الله أن يخلق لابليس نسلا وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية بزنة عطية فخلق منها امرأته قيل واسمها طرطبة بضم الطاءين وتشديد الموحدة

وأول من سجد منهم جبريل فأكرمه الله تعالى بسفارته بالوحى الى الانبياء لاسيما لسيدهم الاكمل صلى الله عليه وعليهم وسلم ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون ثم سائر الملائكة ومكثوا ساجدين مائة سنة وقيل خمسمائة سنة واختلف فى علة السجود لآدم قال المحققون كان لكون النور المحمدى فى جبينه وقيل كان لظهور فضله عليهم بالعلم وقضاء حق التعليم ولما سجدت الملائكة المدة المتقدمة ورفعوا رؤسهم ووجدوا ابليس لم يسجد وهم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير نادم على الامتناع ولا عازم على الاتباع فحينئذ مسخه الله من الصورة البهية الى مثال الخنزير فنكسه وجعل وجهه كوجه القردة وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وشفتيه كشفتى الثور ومنخريه مفتوحتين مثل كوز الحجام وعينيه مشقوقتين فى طول وجهه وفى لحيته سبع شعرات وصدره كسنام الجمل الكبير وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الى الجزائر فلا يدخل الارض الاخفية ولعنه الى يوم الدين لانه صار من الكافرين بعدما كان بهى الصورة رباعى الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين سيد الروحانيين خازن الجنة الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيأ ان فى ذلك لذكرى ۞ ولما لعن الله ابليس وطرده أمر آدم عليه السلام بسكنى الجنة حيث قال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وهذه الجنة هى دار الثواب كما أجمع عليه أهل السنة والشجرة شجرة الحنطة على الاصح وهو ماذهب اليه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال فى صفتها أوراقها من الحلل وأغصانها من الذهب وثمارها من نور العرش ألين من الزبد وأحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج فاذا كان يوم القيامة يكون ممر المؤمنين عليها فيتعجبون من حسنها فتقول الملائكة لاتمكثوا ههنا فان الجبار يريد أن يخلع عليكم خلع الزيارة فيتحيرون من حسنها فتناديهم الملائكة أنتم فى دار البقاء تتعجبون من هذه الشجرة مع وعد الرب اياكم بالزيادة فكيف ملامتكم أباكم فحينئذ يقولون لالوم على أبينا ثم ظاهر قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة أن حواء خلقت قبل أن يدخل آدم الجنة وبه قال ابن اسحق وجزم به السيوطى

في

وظاهره ان ذريته منها والله أعلم وكان اسمه أولا عزازيل باللام آخره وقيل الحرث وقيل ان عزازيل سريانى معناه بالعربية الحرث والله أعلم (قوله بسفارته) أى ارساله بالوحى (قوله وقيل كان لظهور فضله الخ) صريح فى انه كان بعد انبائهم بالاسماء (قوله وفى لحيته) بكسر اللام شعر الخدين والذقن كما فى القاموس والمراد موضعها أى وفى موضع اللحية سبع شعرات فقط (قوله من نور العرش) اهل المراد انه مستمد من نور العرش كما أن ثمر الدنيا يستمد من الارض والله أعلم (قوله قبل أن يدخل الخ) يؤيده ماجاء عن ابن عباس وعمر بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور وعلى كل واحد منهما اكليل أى تاج من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة بكسر الميم مكللة بالدر والياقوت حتى أدخلا الجنة ويذكر انه لما تزوجها نثرت الملائكة عليهما نثار الجنة فصار نثرهم اللوز والسكر والزبيب عادة

في التوشيح وقد ذكروا في صفة خلقها أن الله تعالى أخذ الضلع القصير من شق آدم الأيسر وخلقها منه ولا يعلم كيفية خلقها منه تفصيلا إلا الله تعالى لكنه قيل خلقت من بعضه وقيل من كله فتفصل منه وأبدل بلحم مكانه وكان خلقها وهو نائم فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة قيل كانت مكسوة بحسن ألف حوراء لابسة من لباس الجنة مزينة بأنواع الزينة جالسة على سرير ولها سبعمائة ضفيرة محشوة بالمسك والعنبر مرصعة بالدر والجوهر يسمع لذوائبها خشخشة كالخلاخل وضرب كالأوتار وعندها أربعة آلاف حوراء ولو نظرت احداهن إلى الدنيا لاستغنت عن النيرين وهي عندها كالسراج عند الشمس فقال من أنت قالت امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلي وأسكن إليك فلما رآها على ما هي عليه من الجمال وعرف أنها خلقت له مد إليها يده ليتوصل إلى التلذذ بها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها فقال وما مهرها فقيل أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم مائة مرة فانقطع نفسه بالسبعين فكانت مقدم مهرها وصح كون الصلاة مهرا لعود ثوابها لحواء وذلك لأن آدم وحواء كانا من أول الخلقة ثم إنهما أقاما متمتعين بنعيم الجنة لا يقربان الشجرة حتى حسدهما إبليس اللعين فوسوس لهما فاقتربا وأكلا منها وذلك بعد دخوله الجنة بواسطة الطاوس والحية على المشهور ۞ وخلاصة هذه القصة أنه لعنه الله أراد أن يحتال في الدخول إلى الجنة فقام على بابها في صورة شيخ يعبد الله تعالى ثلاثمائة سنة ينتظر أحدا يخبره بخبر آدم فخرج الطاوس وكان مسكنه شجرة طوبى وكان إذا نشر جناحيه ظلل بهما سدرة المنتهى فقال أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت فيما رأيت من خلق الله عز وجل أحسن منك قال أنا طائر اسمي طاوس قال من أين قال من حديقة آدم قال ما خبره قال في أحسن حال هنات له الجنة ونحن من

(قوله الضلع) بكسر الضاد وفتح اللام وقوله فتفصل منه الخ فلذا كانت أضلاع الشق الأيمن من الرجل ثمانية عشر وأضلاع اليسار سبعة عشر بخلاف الأنثى فتامة الشقين وحكمته اتساع بطنها للجنين والإشارة في خلقها من القصير أن تقصر درجتها عن درجة الرجل وفي انحنائه (١٧) إشارة إلى أن تحنو على ولدها وعلى زوجها وأنها لا تستقيم له على طريقة (قوله وجد عند رأسه امرأة) فقالت الملائكة اختبارا لعلمه من هذه قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت قالوا ولم سميت حواء قال لأنها خلقت من حي (قوله الند) بفتح النون عود يتبخر به (قوله النيرين) أي الشمس والقمر (قوله فقالت الملائكة مه) أي كف عنها وقوله حتى تؤدي الخ وفي رواية حتى تنكحها أي تعقد عليها فزوجه الله إياها وخطب فقال الحمد لله والعظمة إزاري والكبرياء ردائي والخلق كلهم عبيدي وإمائي اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي وسكان سماواتي أني زوجت حواء أمتي عبدي آدم بديع فطرتي وصنع يدي على صداق تقديسي وتسبيحي وتهليلي يا آدم

(٣ — خلاصة)

اسكن أنت وزوجك الجنة الآية وهذا لا ينافي أن الصداق كان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تستلزم ذلك (قوله فوسوس لهما) الظاهر أن وسوسته لهما بنفسه لإخبار الله تعالى أنه قاسمهما لأن ذلك يقتضي المشافهة (قوله الطاوس) كان يقول في صياحه أنا الملك المتوج الذي عرت في نعيم الجنة ولا أخرج منها أبدا (قوله هنات) أي لذات

خدامه قال هل تستطيع أن تدخلني عليه قال من أنت قال من الكروبيين
عندي له نصيحة قال اذهب الى رضوان فانه لا يمنع أحدا من النصيحة قال أريد
أن أخفيها قال الخفية لا تكون نصيحة قال نحن معاشر الكروبيين لا نقول
الاسرار ان أدخلتني عليه علمتك دعاء ان تشيب بعده وان تفنى أبدا قال ما أقدر
ولكن أدلك على الحية وكانت كأحسن الدواب لها قوائم أربع من زبرجد
أخضر كأنها البختية وفيها كل لون من بين أحمر وأصفر وأخضر تتلألأ
تلألؤ القمر رأسها من الياقوت وعيناها من الزبرجد ولسانها من الكافور
فأرسلها الطاوس اليه وكانت صديقة له وهو من خزان الجنة فقال لها افهموا
من مقالته للطاوس فقالت له كيف أدخلك ورضوان لا يمكنني قال أتحول
ريحا فاجعليني بين أنيابك ففعلت وأطبقت فاها فمن ثم كان فيها السم ودخلت
به فوقف عند الشجرة وغنى بمزمار وهو في فمها فجاء آدم وحواء يسمعانه ظنا أنه
من الحية فقال تقدما فقالا انهينا عن قربان الشجرة فبكى وناح نياحة أحزنتهما
وكان أول من ناح كما أنه أول من حسد كما أنه أول من كذب فقالا ما يبكيك قال
أبكي عليكما لانكما تموتان وتفقدان هذا النعيم قالا له وما الموت قال تذهب
الروح والقوة وتعدم الحركة ولا يبقى للعين رؤية ولا للاذن سماع فوقع ذلك في
أنفسهما واغتما فقال ألا أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى كلا منها فقالا انهينا
عنها فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من
الخالدين وأقسم لهما انه ناصح في ذلك ومما غرهما به أيضا أنه قال انما نهى الله
تعالى عن قرب الشجرة لا عن أكل ثمرها أيكما بادر الى الاكل منها فله الغلبة على
صاحبه فأكلت حواء حبة وادخرت فصارت عادة للنساء ثم زينت لآدم قالت
ما أحلاها يا آدم وما أطيب طعمها وأنا أكلت منها فلم يصبني شئ وأتت له بثلاث
حبات ومكث آدم مائة سنة ينتظر ما يحدث لها فتناولها فلما لم يصبها شئ أخذ
منها ثم جعل حبة منها في فيه فقبل أن يصل طعمها الى حلقه وجرمها الى جوفه
طار عن رأسه إكليله يخفخف أي يصفق بجناحيه كطائر يطير وهو ينادي يا آدم
طالت حسرتك وتزحزح السرير من تحته وقال أستحي من الله أن أحمل من
عصاه وتساقط ما عليهما من سوار ودملج ومنطقة وخلخال ونزع عنهما لباسهما
وكان عليه سبعمائة حلة حتى حلة الاظفار المتقدمة فتقلصت أي ارتفعت

(قوله قربان) بضم القاف وكسرها (قوله وتفقدان) بكسر القاف (قوله قالا له وما الموت) لعل السائل حواء ونسب اليهما لانهما كالشئ الواحد والا فآدم يعرف الاسماء والمسميات أو أن الله تعالى أسمعها ملكة (قوله الا أن تكونا ملكين) في الكلام مقدر أي الا كراهة أن تكونا الخ والله أعلم (قوله فصارت) أي هذه الخصلة من الاكل والادخار (قوله من عصاه) سيأتي أنها صورة معصية فقط (قوله سوار) بضم السين وكسرها هو الاسوار المعروفة وقوله ودملج بضم الدال وكسرها مع فتح اللام فيهما هو ما يلبس في العضد وقوله ومنطقة بكسر الميم وفتح الطاء هي ما تلبس في الوسط وقوله وخلخال بفتح الخاء هو ما يلبس في الرجل

الا

الا مافى رؤس الاصابع ليكون تذكرة فبدت لهما سوآتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر ولم تبد لغيرهما فتحير آدم وهرب فى الجنة فلقيته شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا منى يا آدم فقال لا يا رب بل حياء منك وروى أنه طاف فى أشجار الجنة ليستتر بورقها فنفرت عنه كلها الا شجرة التين فأعطاه من ورقه فعوتب فقال يا رب قد علمت أنك لا تمنع رزقك عن عصاتك فأكرمه الله تعالى بأن أقسم به فى القرآن وسوّى ظاهره وباطنه فى الحلاوة وأعطاه خواص كثيرة ولما جرى ذلك المقدّر على آدم قال الله تعالى يا آدم ألم يكن لك فيما أبحت مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ظننت أن أحدا لا يحلف بك كاذبا قال وعزتى وجلالى لأهبطنك الى الارض لا تنال العيش الا كدا أى تعبا وأما حواء فقال تعالى انى أعقبها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولأدمينها فى الشهر مرتين فلما سمعت ذلك رنت أى صرخت فقيل لها عليك الرنة وعلى بناتك الى يوم القيامة وأما الطاوس فطرد وصار يتشاءم به وكذا الحية طردت ومسخت صورتها وقطعت قوائمها فصارت تمشى على وجهها وتوعدت بأنها تقتل حيث وجدت وأما ابليس فطرد ثانيا على لعنته ثم ان آدم عليه السلام تضرع واعتذر فقال تعالى لا يجاورنى من عصانى فسأله بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما مر أن يغفر له فقال غفرت لك بحقه ولكن لا يجاورنى من عصانى وكانت معدته تحركت لخروج ما فيها ولم يجعل ذلك فى شئ من أطعمة الجنة الا فى تلك الشجرة فلذا نهيا عنها كما مر فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا فقال له أى شئ تريد فقال أريد أن أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تضعه أتحت العرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار وهل ترى هنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا فامتثل وودّع من فى الجنة وبكى عليه كل شئ فيها الا الذهب والفضة فعوتبا فقالا لا نبكى على من عصاك فأكرما بأن جعلا قيمة كل شئ ولكن لما لم يبكيا على صفىّ الله ألقيا فى النار فى الدنيا والآخرة وجعلا فتنة للناس ولما انتهى سيدنا آدم عليه السلام الى باب الجنة ووضع احدى رجليه خارجه قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال جبريل لقد تكلمت بكلمة عظيمة فقف ساعة فربما يظهر من الغيب لطف فنودى أن دعه يخرج فقال الهى دعائى رحيما

(قوله ليكون تذكرة) ولذا تنظر الذرية اليه عند هجوم الضحك فيسكن (قوله خواص كثيرة) منها أن رطبه أجد الفواكه وأكثرها غذاء وأقلها نفخا وأنه جاذب مفتح لسدد الكبد والطحال وأنه محلل ملين مسمن وانه يذهب بالبواسير وينفع من النقرس بكسر فسكون فكسر وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين (قوله مندوحة) بفتح الميم أى فسحة وغنى (قوله ولأدمينها الخ) أى كما أدمت الشجرة وقد ابتدأها الحيض بعد هبوطها من الجنة فهى أول امرأة حاضت (قوله حيث وجدت) حتى فى الصلاة والاحرام والحرم وجوف الكعبة (قوله والآخرة) قال تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية

(قوله وسعة) بفتح السين وكسرها (قوله ليترتب الخ) قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه من زعم أن
نزول آدم وحواء من الجنة كان عقوبة لهما فقد افترى إنما عظم إنما كان والله زيادة في كرامتهما الأدصار لهما
مثل ثواب ذريتهما من الأنبياء وغيرهم ولو كنت موضعه وأطلعني الله على ما أطلعه عليه من عدم المؤاخذة
وأني إذا نزلت إلى الأرض أعود إلى الجنة بمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي فضلا عن الأولياء والصالحين
والمؤمنين لأكلت الشجرة بتمامها (٣٠) أي لغلبني الحال وأكلتها كلها لكن ثبت آدم عليه السلام
فاقتصر على القدر الكافي
في الحكمة فليس مراده
أكل منه كما قد يتوهم
ونقل نحو ذلك القول
عن الغوث أبي مدين
التلمساني رضي الله تعالى
عنه (قوله فكان في الباطن
مأذونا الخ) وأما قوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى
ونحوه مما جرى كتطاير
الحلل والأكليل وتزحزح
السرير وما يقال ان جسده
كان اسود لاكتسابه تلألؤ إلى
ان أمر فصام وصلى
فابيض فهو صوري ظاهري
لما تقرر وحكمته تعظيم
ما هو على صورة الذنب
لتنبيه أفراد البشر فيعتقدوا
المحاسبة ويستشعروا
الحذر ويراقبوا باري النسم
ويتفطنوا الشكر ما لهم عليهم من النعم فإذا عرف الخلق جريان ذلك على آدم مع ما هو عليه من الخطيئة
الشرف وعلو المنزلة عند الله تعالى بسبب ذلك الفعل الواحد لا جرم يرهبون وحفظ نعم الله بدوام شكرها
يتفطنون (قوله وبكى آدم الخ) وتاب الله على آدم قبل خروجه من الجنة وقيل بعده وورد ما يشهد لكل وجمع
بأن التوبة وقعت قبل الخروج وما بعد توكيد له قال الفخر واكتفى بذكر توبة آدم دون حواء لأنها كانت تبعا
وقد ذكرها في آية ربنا ظلمنا أنفسنا وفي غيرها وقد روي أن هذه الآية هي الكلمات المتلقيات بل هذا هو المشهور
(قوله لا يرقأ) بالقاف والهمز أي لا يسكن ولا يجف

فارحمه فقال ان أرحمه لا ينقص من رحمتي شيء وإن يذهب لا يعيب عليه شيء
فخله يذهب ثم يرجع في مئات ألوف عصاة من أولاده حتى يشاهد فضلنا وسعة
رحمتنا فهبط إلى الأرض وكذا حواء والطاوس والحية وإبليس كما قال تعالى
اهبطوا منها جميعا وكانت مدة مكث آدم في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة
وهو خمسمائة سنة ثم اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام معصومون جميعا من الكبائر والصغائر بل ومن المكروه
وخلاف الأولى على التحقيق والذي وقع من آدم عليه السلام ليس ذنبا إلا في
الظاهر فقط وأما في الباطن فهو مأمور بالأكل من الشجرة ليترتب عليه الهبوط
إلى الأرض المسبب عنه إيجاد المسميات التي علمه الله تعالى أسماءها فضلا عن
إيجاد المقصود الأعظم صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال لا بد أن تهبط
وفاقا للإرادة الأزلية ولا يجيء الهبوط إلا بالأكل منها فاضطر إليه تنفيذا لمراد
سيده ولو لم يأكل لعصى الإرادة التي أطلعه الله عليها وهي لا يمكن عصيانها فكان
في الباطن مأذونا وفي الظاهر مخالفا فهو نظير عبد قال له سيده إذا نهيتك عن
شيء بين الملا فافعله فإني مبيحه لك في الباطن وإنما كان إخراجه من الجنة مرتبا
على ذلك لتظهر حجة الله تعالى عليه عند المحجوبين عن باطن الأمر فإنه تعالى
كريم والكريم لا يخرج أحدا من جواره إلا بحجة ظاهرة تقام عليه وبكى آدم بعد
نزوله ثلثمائة سنة لا يرقأ له دمع حتى صارت دموعه بركة عظيمة مكثت الوحوش
والطير تشرب منها ثمانين سنة لكن على ما فاته من القرب والجوار لا على

الخطيئة ولا على الدار وأنبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وأنواع الطيب وما كان منها في البحر صار بلخشا ومن دموع حواء القرنفل والحناء وأبازير الطعام التي تطيبه وما كان منها في البحر صار لؤلؤا ودموع الطاوس صارت في البر بقا وفي البحر علقا ودموع الحية صارت في البر عقربا وفي البحر سرطانا ودموع ابليس صارت في البر شوكا وفي البحر تمساحا وهبط آدم يوم الجمعة على جبل بأعلى الهند محيط بأرضه مشرف على وادي سرنديب يقال له نوذ ويقال له جبل الراهون أيضا وبه أثر قدميه مغموستين في الحجر وفي كل يوم ينزل مطر يغسل أثرهما وفي كل ليلة يرى على ذلك الجبل نور كالبرق بلا سحاب ولا يزال يسطع بالنهار أيضا وإنما نزل بالهند لأنه أعدل البلاد مطاقا فلا يضر به فراق الجنة اضرارا بينا وهبطت حواء بجدة والطاوس بأرض كابل ناحية من بلاد الهند والحية بسجستان وابليس لعنه الله بايلة بلدة بالعراق ومكث آدم أربعين يوما لا يرى حواء حتى تعارفا بالموقف قيل ولذا سمي عرفة واجتمعا بمزدلفة قيل ولذا سميت بجمع ثم إنه أولدها أربعين ولدا في عشرين بطنا فكانت تلد في كل بطن غلاما وجارية وكان يزوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر أباح الله ذلك في شرعه اضرورة التناسل لكن قال النسفي وغيره ان شيثا ولد في بطن وحده وزاد النسفي أن أخته التي تزوجها ولدت وحدها أيضا وعند الحمل بشيث انتقل النور المحمدي الى أمه وعند تزويجه خطب له جبريل وشهدت الملائكة وولد له في حياة أبيه وكان أجمل اخوته وأفضلهم وأحبهم الى أبيه وأشبههم به جمالا كما أن التي تزوجها كانت أشبه أخواتها بأمها وكان وصي أبيه على أولاده فأطاعوه كلهم وعما أوصاه به أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها تنتقل من شخص الى آخر حتى أوصلها الله الى سيدنا عبد الله بن عبد المطلب رضي الله عنهما وعاش آدم ألف سنة ومات يوم الجمعة آخر ساعة منه لستة أيام من شوال وغسلته الملائكة بالماء والسدر وترا وصلى عليه جبريل اماما بالملائكة وذلك بعد أن مرض أحد عشر يوما ودفنه شيث بغار بأبي قبيس يسمى غار الكنز وفيه قبر شيث أيضا وبكت الخلائق عليه سبعة أيام وعاشت حواء بعده ثلاثة أيام ودفنت بجانبه في ذلك الغار ويقال دفنت بجدة وبها

(قوله الرطب) هو الذي لو طبع به بالختم لانطبع (قوله بلخشا) هو حجر مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف (قوله بجدة) بكسر الحاء (قوله حتى تعارفا) قيل لما رأته زغردت بالدال المهملة والعوام يبدلونها مثناة فوقية فعلت ذلك فرحا به فاعتاد بناتها ذلك عند الفرح (قوله تزويجه) والمزوج له أبوه (قوله وعاش آدم الخ) ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا منهم أولاده لصلبه أربعون

الآن قبر مشهور بها يزار والله أعلم

وبعد تخير الخلق مصدر ما بدا * من الخلق والنهى من البدء للمدى

فآدم وهو الاصل فرع وانما * به ظل في ظل العناية سرمدا

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى

يشاهد في عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار في الضوء والهدى

فقال الهى ما الضياء الذي أرى * جنود السما تعشو اليه ترددا

فقال نبي خير من وطئ الثرى * وأفضل من في الخير راح أو اغتدى

تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا

وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا

فيشفع في إنقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا

وإن له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وأزواجه وتابعيه وسلم آمين

(الفصل الثالث)

(في نسب أشرف البرية وطهارته من المفاسد التي كانت عليها الجاهلية)

اعلم هداني الله واياك الى صراط مستقيم أن الله شرف نسبه صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى أبيه السيد عبد الله رضي الله عنه فأجداده كلهم مؤمنون وكل واحد منهم كان خير أهل زمانه قال صلى الله عليه وسلم أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا وقال عليه الصلاة والسلام ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام وفي رواية ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام حتى خرجت من بين أبي وأمي وروى ابن عساكر مرفوعا ما ولدتني بغي قط منذ

خرجت

(قوله وأثواب شمل الخ) كناية عن قربه من الله تعالى اه زرقاني (قوله السدى) بزنة الحصى من الثوب بخلاف اللحمة اه زرقاني (قوله يشاهد) أى آدم وقوله في عدن أى الجنة المعبر عنها سابقا بالفردوس والجار والمجرور حال من فاعل يشاهد وقوله ضياء أى نورا قويا وقوله مشعشعا أى منتشرا وقوله على الانوار أى المتعارفة اه زرقاني (قوله فقال) أى آدم (قوله فقال) أى الله تعالى (قوله نبي) أى ضياء نبي والثرى بمثلثة التراب الندى والمراد به هنا الارض مطلقا من اطلاق الجزء على الكل (قوله من في الخير) أى في طرق الخير وقوله راح الخ أى أخذ فيه أى الخير وجد له أى وقت ليلا أو نهارا لاستعمال العرب الغدو والرواح في السير مطلقا أى مجازا اه زرقاني بحذف (قوله سوددا) بضم السين أى سيادة فذكره بعد سيدا إطناب أو المراد ادخرته بتقديم السيادة له قبل خلقك ثم ألبستها له بالفعل قبل النبيين اه زرقاني باختصار (قوله ما ولدني الخ) المراد أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج الا من نكاح كنكاح الاسلام في اباحة الوطء وان لم يجمع شرائط النكاح الاسلامية بل وان لم يكن نكاحا أصلا فالقصد منه نفي الفجور والسفاح مصدر سافح من سفح يقال سفح اذا زنى لسفح الماء أى صبه ضائعا جهرا كان أولا كما في القاموس والمصباح والجاهلية ما قبل فتح مكة (قوله وفي رواية ما زلت أخرج الخ) هذه الرواية كالتفسير لما قبلها

(قوله كابرا عن كابر) أى كبيرا عن كبير فى المجد والشرف (قوله وأما اخباره صلى الله عليه وسلم الخ) كحديث البخارى مرفوعا رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار وكان أول من سيب السائبة وقصبه بضم فسكون أى أمعاءه اه (قوله كآباء قريش) ينظر فيه (قوله لحى) بضم اللام (٣٣) وفتح الحاء المهملة وشد الياء مصغرا ابن

خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين فى العرب هاشم وزهرة وجاء مرفوعا لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقد صرح فى الاحاديث وأقوال السلف بايمان آبائه من مرة بن كعب الى آدم كما قاله السيوطى وأما الاربعة بين مرة وعبد المطلب فقال السيوطى لم أظفر فيهم بنقل وأما عبد المطلب فكان على ملة ابراهيم فلم يعبد الاصنام هذا وقد دلت الاحاديث على أن الارض لا تخلو من مسلمين وأولياء يدفع الله بهم عن أهلها ولا يكون كذلك الا خير أهل الارض وأجداده صلى الله عليه وسلم هم خير أهل الارض كما دلت عليه الاحاديث أيضا كالحديث المتقدم الذى فيه ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر اذ الكافر لا يوصف بذلك ولا يكون خيرا قطعا فأجداده صلى الله عليه وسلم كلهم مؤمنون على أن الصحيح أن أهل الفترة ناجون وان عبدوا الاصنام وأما اخباره صلى الله عليه وسلم عن بعض من مضى من الجاهلية كآباء قريش وعمرو ابن لحى وامرئ القيس وحاتم الطائى بأنهم فى النار فقد أجيب عنه بأجوبة منها أن أحاديثه خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام وأما آزر فعم ابراهيم كما أجمع عليه أهل الكتابين وهو الراجح كما يأتى أن أباه عليه السلام اسمه تارح وانما دعى آزر بالاب فى الآية لان العم قد يدعى بالاب قال صلى الله عليه وسلم ردوا على أبى يعنى عمه العباس رضى الله عنه وأبواه عليه الصلاة والسلام مؤمنان كما دلت عليه الاحاديث وأما من قال غير ذلك فهو مخطئ ويخشى عليه أن تشمله آية ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ولا أذى أعظم من أن يقال أبواه صلى الله عليه وسلم فى النار واذا لم يرض عكرمة بن أبى جهل بنسبة أبيه الى النار وتأذى بذلك مع أنه جازم بأنه فيها فأولى أن يتأذى المصطفى صلى الله عليه وسلم بنسبة الطاهرين الى الكفر الذى هو أخبث الاشياء تعالى الله عن أن تحتوى أعداؤه على حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم هذا

قمعة بن الياس بن مضر وهو أول من سن للعرب عبادة الاصنام وسبب ذلك انه كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة فأتاه ليلة فقال أجب أبا ثمامة فقال لبيك من تهامة ادخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التى كانت تعبد زمن نوح عليه السلام فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام فى العرب وقيل فى السبب غير ذلك وكانت التلبية فى عهد ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك فزاد عمرو المذكور الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وذلك أنه كان يلبى فتمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال ذلك الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو فقال ما هذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب وهو أول من شرع الاحكام فبحر البحيرة وهى التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس وسيب السائبة وهى التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ ووصل الوصيلة وهى الناقة التى تبكر وتثنى بانثى فكانوا يسيبونها لطواغيتهم

لوصلها احدى الاثنين بالاخرى من غير فصل بذكر بينهما وحمى الحامى وهو فحل الابل يضرب الضراب المعدود
فاذا قضى ضرابه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل وتبعته العرب فى ذلك وفى غيره كعبادة الجن والملائكة
وخرق البنين والبنات وسبب اتباع العرب لهذا الرجل أنه لما نفت خزاعة جرهما من مكة وغلبت على
البيت جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو فى الموسم فنحر
فى موسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة ٢ بشين معجمة مكسورة فتحتية ساكنة فمثلثة معناه
هبة الله ٣ بتحتية فألف فنون

مفتوحة ٤ بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة

وقد تقدم أن النور انتقل من صلب آدم الى رحم حواء الى شيث (٢) ﷺ ولنذكر
لك أسماء طريقه الى سيدنا عبد الله فنقول ثم من شيث الى ولده يانش (٣)
ومعناه الصادق ثم منه الى قينن (٤) ثم منه الى مهلاييل (٥) ثم منه الى يرد (٦) ثم
منه الى خنوخ (٧) قيل هو سيدنا ادريس عليه السلام وعليه الاكثرون ثم
منه الى متوشلخ (٨) ثم منه الى لامك (٩) ثم منه الى نوح (١٠) عليه السلام
ثم منه الى سام (١١) وليس نبيا على الصحيح ثم منه الى أرفخشذ (١٢) ثم منه
الى شالخ (١٣) ثم منه الى عيبر (١٤) قيل هو سيدنا هود عليه السلام ثم منه
الى فالخ (١٥) قال الطبرى ورأيت أن بين عيبر وفالخ واحدا يقال له قينان ثم
من فالخ الى أرغو (١٦) ثم منه الى شاروخ (١٧) ثم منه الى ناحور (١٨)
ثم منه الى تارح (١٩) ثم منه الى سيدنا ابراهيم (٢٠) الخليل عليه
السلام ثم منه الى سيدنا اسمعيل (٢١) عليه السلام ثم منه الى نابت (٢٢)
ثم منه الى يشجب (٢٣) ثم منه الى يعرب (٢٤) ثم منه الى تيرح (٢٥) ثم
منه الى ناحور (٢٦) ثم منه الى مقوم (٢٧) ثم منه الى أدد (٢٨) ثم منه الى
أد (٢٩) ثم منه الى عدنان (٣٠) واعلم أن من اسمعيل الى آدم قيل لا اختلاف
فيه لانه بين فى التوراة نسبهم ومدة أعمارهم وقال الحافظ بل فيه خلاف يسير
فى عدد الآباء وضبط الالفاظ خلافا لمن نفاه وأما من عدنان الى اسمعيل ففيه
خلاف واضطراب وأصح الاقوال فيه ما ذكرته لك وأما من عدنان الى عبد الله

فنونين ٥ بجيم مفتوحة
فهاء ساكنة فلام فألف
فتحتيتين ٦ بياء مفتوحة
فراء ساكنة فدال مهملة
٧ بفتح الخاء فنون بوزن
عمود ٨ بضم الميم فتاء
مضمومة مشددة ويفتحان
فواو ساكنة فشين معجمة
مفتوحة وتكسر فلام
ساكنة فخاء معجمة ٩ بفتح
الميم ١٢ بفتح الهمزة
وسكون الراء وفتح الفاء
وسكون الخاء المعجمة وفتح
الشين المعجمة وذال معجمة
١٣ بشين معجمة فألف فلام
مفتوحة فخاء معجمة ١٤
بعين مهملة فتحتية فموحدة
فراء كجعفر ١٥ بفتح
اللام (قوله قينان) بفتح القاف وسكون التحتية ونونين بينهما ألف ١٦ بفتح فلا
الهمزة وسكون الراء وعين مهملة أو معجمة مضمومة آخره واو ١٧ بشين معجمة فألف فراء مضمومة فواو فخاء
معجمة ١٨ بنون فألف فحاء فواو فراء ١٩ بفوقية فألف فراء مفتوحة فحاء مهملة أو معجمة ٢٢ بنون
فألف فباء مكسورة فتاء ٢٣ بتحتية فشين معجمة فجيم فموحدة بوزن ينصر وكذا يعرب ٢٥ بفوقية فتحتية فراء
فمهملة بوزن جعفر ٢٧ بوزن محمد ٢٨ بضم الهمزة وفتح الدال الاولى ٢٩ بضم الهمزة وتشديد الدال
وليس بعدها شئ

فلا خلاف فيه قطعا وكذا الاختلاف فى أن عدنان من ولد اسمعيل عليه السلام وعدنان مأخوذ من العدن وهو الاقامة سمى به تفاؤلا بأنه يقيم ويسلم من أعين الجن والانس التى تموت بها غالب من يقبر وكانوا ينظرون اليه يريدون قتله ويقولون ان تركنا هذا الغلام الى ان يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه وكنيته أبو معد وهو أول من وضع علامات الحرم وأول من كسا الكعبة وكان فى زمن موسى على الراجح ثم منه الى معد وكان كريما صاحب غارات وحروب على بنى اسرائيل وما حارب أحدا الا نصر عليه وكنيته أبو قضاعة ولما سلط الله بختنصر على العرب أمر الله تعالى أرمياء عليه السلام أن يحمل معدا على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فانى سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فاحتمله أرمياء عليه السلام الى الشأم فنشأ فى بنى اسرائيل ثم عاد بعد موت بختنصر وهو ابن اثنتى عشرة سنة مع أنبياء بنى اسرائيل الى مكة فحجوا وحج معهم ووجد أخويه وعمومته قد لحقوا بطوائف اليمن فأرجعهم الى بلادهم ثم منه الى نزار واسمه خلدان وكنيته أبو إياد وانما لقب بنزار لان أباه نظر الى النور المحمدى يتلألأ بين عينيه ففرح ونحر وأطعم كثيرا وقال هذا كله نزر أى قليل فى حق هذا المولود ثم منه الى مضر واسمه عمرو وكنيته أبو الياس وانما لقب بمضر لانه كان يمضر القلوب أى يميلها اليه بحسنه فلا يراه أحد الا أحبه وكان من أحسن الناس صوتا وهو أول من سن الحداء أى الغناء للابل ومن حكمه من يزرع شرا يحصد ندامة وروى لا تسبوا مضر ولا ربيعة يعنى أخاه فانهما كانا مسلمين على ملة ابراهيم ثم منه الى الياس واسمه حبيب وكنيته أبو عمرو وانما لقب بالياس لانه ولد بعد كبر أبيه ويأسه من الولد وكان ذا جمال بارع ولما أدرك أنكر على بنى اسمعيل ما غيروا من سنن آبائهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به فردهم الى سنن

(قوله فلا خلاف فيه قطعا) أى فهو مجمع عليه ومن فوائد هذا الاجماع القطع بلحوقه صلى الله عليه وسلم بآبائه فهو مستثنى من قولهم لحوق الابناء بالآباء ظنى قال بعضهم فمن أدرجه صلى الله عليه وسلم فى ذلك كفر (قوله معد) بفتح الميم والعين وشد الدال (قوله ولما سلط الله الخ) وسبب ذلك أن أهل حضور كصبور بلد باليمن قتلوا نبيهم شعيب بن ذى مهدم وهو غير صاحب مدين فأوحى الله الى أرمياء وبرخيا من أنبياء بنى اسرائيل أن يأمرا بختنصر بغزو العرب ويعلماه انه سلط عليهم (قوله نزار) بنون مكسورة فزاى فألف فراء (قوله مضر) بضم ففتح غير منصرف لانه معدول به عن ماضر وهو اللبن الحامض لمحبته شربه وهذا وجه ثان فى تلقيبه بمضر (قوله وهو أول من سن الحداء) بضم الحاء ممدودا وذلك أنه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يايداه يايداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا (قوله إلياس) بهمزة قطع مكسورة وتفتح قيل أعجمى وقيل عربى فعيال من الالس وهو الخديعة ولذا يقال للشجاع الحازم أليس كأمير أو افعال من أليس ومنه يقال للشجاع والاسد أليس كأبيض أى ثابت لا يفر وقيل بهمزة وصل مفتوحة لا غير واللام فيه مثلها فى الفضل أصله اليأس ضد الرجاء فسهلت همزته لانه ولد بعد كبر سن أبيه (قوله لانه ولد الخ) لا يناسب الا قراءته بهمزة وصل

(قوله مدركة) بضم فسكون فكسر (قوله خزيمة) مصغر خزمة كقصبة واحد الخزم شجر معروف (قوله كنانة) بكسر الكاف وهي في الاصل الجعبة بفتح الجيم أي وعاء السهام سمي به لانه لم يزل في كن من قومه (قوله النضر) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة منقول من اسم الذهب الاحمر (قوله فهر) بكسر فسكون وهو في الاصل اسم للحجر الطويل سمي به تفاؤلا بطوله وصلابته على الاعداء (قوله وكان يدعى قريشا) أي لانه كان يقرش الاعداء أي يقطعهم وقيل لانه كان يقرش أي يفتش عن خلة المحتاج فيسدها وكان بنوه كذلك (قوله واليه تنسب قريش) فيقال قرشي وقريشي بالياء أيضا على الاصل فهو مجمعها وما فوقه كناني لا قرشي كما صححه الدمياطي وغيره وقال الاكثرون مجمعها النضر وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وغير واحد من المالكية قال النووي وهو الصحيح المشهور وجمع بعضهم بين القولين بان النضر وان خلف ثلاثة الا أنه لم يعقب الا من مالك ومالك لم يعقب الا فهرا المسمى بقريش فقبيلة قريش تنتهي الى النضر وليس منه عمود ثان ولا قبيلة ثانية (قوله غالب) منقول من اسم الفاعل من الغلب كالضرب بمعنى الغلبة والقهر ومن كلام والده قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخاق وجهك وان صار اليك (قوله لؤي) بضم اللام وفتح الهمزة وقد تبدل واوا مصغر لأي كعصا وهو الثور الوحشي وقيل مصغر لواء وهو راية الجيش زيدت فيه الهمزة (قوله كعب) بفتح الكاف (قوله ويذكرهم الخ) كان يقول أما بعد فاسمعوا وعوا وافهموا وتعلموا ليل ساج وفي لفظ داج ونهار صياح أي مضيء والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام لم تخلق عبثا فتضربوا عنها صفحا حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي لكم نبأ عظيم فسيخرج منه نبي كريم بذلك جاء موسى وعيسى وينشد أبياتا آخرها

فارخوا

آبائهم وكانت العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وكان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج وهو أول من أهدى البدن للكعبة وجاء لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا ثم منه الى مدركة واسمه عمرو على الصحيح وكنيته أبو هذيل وانما لقب بمدركة لانه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان النور المحمدي ظاهرا فيه ظهورا بينا ثم منه الى خزيمة وكنيته أبو أسد وفيه قيل

أما خزيمة فالمكارم جمة * سبقت اليه وليس ثم عنيد

ومات على ملة ابراهيم كما رواه ابن حبيب باسناد جيد ثم منه الى كنانة وكنيته أبو النضر وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان لكرمه يأنف أن يأكل وحده فاذا لم يجد من يأكل معه نصب صخرة بين يديه وكلما أكل لقمة رمى اليها لقمة وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى بأحمد يدعو الى الله والبر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا الى شرفكم وعزا الى عزكم ولا تعتدوا ما جاء به فهو الحق ثم منه الى النضر واسمه قيس وكنيته أبو يخلد وانما لقب بالنضر لنضارة وجهه أي اشراقه ثم منه الى مالك سمي به تفاؤلا بانه يملك العرب وقد كان وكنيته أبو الحرث ثم منه الى فهر وكنيته أبو غالب وكان يدعى قريشا واليه تنسب قريش ثم منه الى غالب سمي به تفاؤلا بانه يغلب أعداءه وكنيته أبو تيم ثم منه الى لؤي وكنيته أبو كعب ثم منه الى كعب سمي به تفاؤلا بارتفاعه وشرفه إذ الكعب المرتفع وكنيته أبو هصيص وكان يجمع قومه يوم العروبة ويذكرهم ببعثه صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه ولعظم قدره عند العرب أرخوا بموته الى عام الفيل

فأرخوا به الى موت عبد المطلب ثم منه الى مرة سمى به تفاؤلا بأنه يكون ذا مرارة على الاعداء وكنيته أبو يقظة بأحد أولاده ثم منه الى كلاب واسمه حكيم على الصحيح وكنيته أبو زهرة وانما لقب بكلاب لمكالبته العدو أى مضايقته اياه ثم منه الى قصى واسمه زيد وانما لقب بقصى لان أمه قصت به أى بعدت وهو فطيم الى بلاد قضاعة من أشراف الشام لما تزوجها ربيعة بن حرام بعد أن مات أبوه كلاب فلما كبر وعرف منشأه كره الغربة فى أرض قضاعة ورجع مع حاج العرب الى مكة وكان أمر مكة والبيت الى خزاعة فرفعهم وتولى بنفسه فأطاعته قريش وبنو كنانة وجمع قبائل قريش بعد تفرقها بالبلاد من ظلم خزاعة فلذا سمى مجمعا ولكونه جمع شرف مكة أيضا فكان بيده الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ودار الندوة والقيادة ثم منه الى عبد مناف واسمه المغيرة وانما لقب بعبد مناف لان أمه أخدمته صنما يقال له مناة فقيل له عبد مناة فرآه أبوه يوافق عبد مناة بن كنانة ورأى علامات الشرف لائحة عليه فغيره بمناف من ناف اذا ارتفع وكان يقال له قمر البطحاء لجماله والفياض لكثرة جوده ووجد نقشا فى حجر أنا المغيرة بن قصى آمر بتقوى الله وصلة الرحم ثم منه الى هاشم واسمه عمرو العلا لعلو مرتبته وكنيته أبو البطحاء ولقب بهاشم لانه أول من هشم الثريد بمكة بعد جده ابراهيم عليه السلام لانه لما أصاب قريشا الجدب الشديد رحل الى فلسطين وأتى منها بدقيق وكعك كثير ثم نحر جزورا وجعله ثريدا عم به أهل مكة ولا زال يفعل كذلك

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

وفحواء يمد ويقصر والاول يجب هنا للوزن أى معنى دعوته (قوله مرة) بضم الميم وشد الراء منقول من وصف الرجل بالمرارة فالتاء للمبالغة أو من وصف الحنظلة فهى للتأنيث (قوله كلاب) بكسر ففتح منقول من مصدر كالبت العدو (قوله قصى) بضم القاف وفتح الصاد المهملة وشد الياء مصغر قصى بفتح فكسر صغر على فعيل كالثلاثى مع أن القياس على فعيعل لانهم كرهوا اجتماع ياآت فحذفوا الثالثة (قوله كره الغربة فى أرض قضاعة الخ) وذلك أنه كان يناضل رجلا من قضاعة وينتمى الى آل ربيعة بن حرام اذ قال ذلك الرجل وقد غلبه قصى ألا تلحق بقومك فانك لست منا فرجع الى أمه مغضبا فسألها عما سمعه فقالت أنت والله خير منه وأكرم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك عند البيت الحرام وما حوله فأجمع قصى على الخروج الى قومه وكره الغربة فى أرض قضاعة فقالت أمه يا بنى لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فانى أخشى عليك فأقام حتى خرج مع حاج قضاعة (قوله الحجابة) أى سدانة البيت أى خدمته وتولى أمره وفتح بابه واغلاقه وقوله اللواء أى العلم الذى يعقد للحرب وقوله السقاية هى حياض من أدم توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل قبل حفر زمزم وقوله الرفادة أى اطعام الحاج أيام الموسم بمكة وعرفة حتى يتفرقوا وقوله دار الندوة بفتح النون أى اجتماع الندى بفتح النون وشد التحتية أى الجماعة للمشورة وغير ذلك فلا يتزوج قرشى الا فيها ولا يتشاورون فى أمر الا فيها ولا يعقدون لواء الا فيها وقوله القيادة أى امارة الركب (قوله لان أمه الخ) واسمها حبى بضم الحاء وتشديد الباء الممالة (قوله ولا زال يفعل كذلك الخ) ولذا قيل فيه

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * والناس في جوع رقي إعجاف

وهو الذي سن الرحيل لقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

(قوله وانما قيل له عبد المطلب الخ) وذلك أنه لما تزوج هاشم بسلمى بنت عمرو من المدينة من بني النجار من الخزرج وظهر حملها اشترطوا عليه أن لا تلد الا عندهم وقيل انه شرط انها لا تخرج من المدينة وانها اذا ولدت ولدا يكون معها ثم مات هاشم وهي حامل بعبد المطلب ولما وضعته بقي عندها الى أن بلغ عشر سنين وهو يزيد في اليوم كالشهر فخرج يوما يلعب مع الصبيان فاذا برجل من بني الحرث من مكة وقف ينظر اليه وهو يظهر على الصبيان و يغلبهم المرة بعد المرة فبهت فيه الحارثي وقال في نفسه لقد سعدت امرأة وضعت هذا الغلام وسمعه الحرثي يقول أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن (٣٨) هاشم وكفى فلما سمع منه ذلك تقدم اليه وقبل يديه فقال شيبة الحمد مرحبا بك يا عم فقال يا ولدي ما اسمك قال شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف وأنت يا عم من أي البلاد قال من مكة فقال شيبة الحمد فهل أنت متحمل أمانتي ومؤد رسالتي اذا رأيت المطلب وأولاد هاشم فقل لهم ما أسرع ما نسيتم وصية هاشم في ولده اليتيم فانه يستنشق الريح اذا هبت من تلقائكم فرجع الحارثي الى مكة وأخبر المطلب وقومه بذلك فذهب المطلب بنفسه الى المدينة فوجد شيبة الحمد خارجها يلعب مع الصبيان و يقول أنا في
شيبة الحمد بن هاشم المعروف بالمكارم ورأى النور في عمه فصاح عليه يا ابن هاشم فاسرع اليه وقال له ما تريد يا عم فقال له المطلب أما تعرفني فقال لا والله ولكن ان صدق حزري فأنت من مكة من السادات الاشراف من بني عبد مناف فلما سمع كلامه بكى وقال أنا عمك المطلب فأقبل عليه وقبل يديه فاردفه خلفه ورجع قاصدا الى مكة فلحقته أمه في قومها بعد ان خرج عليهم ما تسعون من اليهود فدعا عليهم شيبة الحمد فأهلك الله منهم أربعين بنار نزلت عليهم والخمسون قتلهم من حضر مع أمه ولما رأت ميله الى عمه وبلده سلمته له ووصته عليه وقيل كان استأذنها في خروجه من المدينة وعليه يكون خروجها في قومها لما علمت من خروج اليهود وراءهما

حتى أخصبوا وكانت مائدته لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء ولذا كان يضرب بكرمه المثل وكان النور المحمدي يتلألأ في جبهته ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشيء الا سجد له وعرضت عليه قبائل العرب والاحبار بناتهم أن يتزوج بهن حتى هرقل بعث اليه ان لي بنتا لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك ومرادهم هذا النور الذي أسعد الله به سلمى أم عبد المطلب ومات هاشم بغزة قيل عن خمس وعشرين سنة ثم منه الى عبد المطلب واسمه شيبة الحمد تفاؤلا بانه يبلغ سن الشيب وقد كان فانه عاش مائة وأربعين سنة وأضيف للحمد تفاؤلا بكثرة حمد الناس له وقد كان وكنيته أبو الحرث وأبو البطحا وانما قيل له عبد المطلب لان المطلب عمه لما أتى به من عند أمه سلمى بنت عمرو من بني النجار من الخزرج بالمدينة كان يسئل عنه فيقول عبدي حياء أن يقول ابن أخي لانه كان بهيئة رثة فلما أصلح حاله أظهر أنه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة ابن أخي وقيل على عادة العرب من قولهم لليتيم يتربى

(قوله أبرهة) بفتح الهمزة والراء معناه بلسان الحبشة أبيض الوجه (قوله بالرخام الملون وحلاها بالذهب) وكان ينقل اليها ذلك من قصر بلقيس وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس وسماها القليس بضم القاف وفتح اللام مشددة ومخففة وسكون التحتية آخره سين مهملة لان قلانس الرؤس كانت تسقط عند تصعيد النظر اليها لعلوها اوكتب الى النجاشي بفتح النون وكسرها وشد التحتية وتخفيفها لقب لكل من ملك الحبش وهو الذي تقدم أن أبرهة ملك على اليمن من جهته انى قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبن العرب والعجم مثله ولن أنتهي حتى أصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم (قوله فأغضب ذلك أبرهة) وكتب الى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث له فيله قيل ليجعل السلاسل في أركان البيت وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة وكان فيلا عظيما جسيما أبيض لم ير مثله يسمى محمودا فأرسله اليه وكان الفيل وحده كما عليه الاكثر وقيل كان معه غيره ووحد في الآية لنسبتهم (٣٩) الى الفيل الاعظم أو لرعاية الفواصل فأل جنسية

في حجر الرجل هو عبده وكان سيد قريش وملجأهم في الامور وكانوا يسمونه الفياض لكثرة جوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال وكان النور المحمدي يتلألأ في جبهته وببركته برك الفيل ﷺ وذلك أن أبرهة وكان ملكا على اليمن من جهة ملك الحبشة رأى الناس يتجهزون الى الحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والمسيح لأبنين لكم خيرا منه فبنى كنيسة بصنعاء طولها في السماء ستون ذراعا بالرخام الملون وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وسماها القليس ومنع الناس الذهاب الى مكة وبعث في الناس يدعوهم الى حج القليس فلما بلغ داعيه بلاد كنانة ضرب بسهم فقتل وخرج رجل من كنانة تغضبا للكعبة فتغوط بالقليس ثم لحق بأهله فأغضب ذلك أبرهة وحلف لينقضن الكعبة حجرا حجرا وجاء الى مكة بستين ألفا ومعهم الفيل فبرك الفيل

ولما نزل بالمغمس بضم الميم وفتح الغين المعجمة وشد الميم مكسورة على الاصح موضع على ثلثي فرسخ من مكة بطريق الطائف أرسل أميرا من أمرائه على خيل له فساق اليه أموال قريش وغيرهم وفيها مائتا بعير لعبد المطلب والبعير يطلق على الذكر والانثى وأمر رجلا من قومه أن ائت شريف مكة وقل له إن الملك لم يأت لحربكم وانما جاء لهدم البيت فان هو لم يرد حربا فأتني به فدخل مكة وسأل عنه فلما نظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فجعل يخور كالثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا له ثم قال أشهد أنك سيد قريش حقا وبلغ ما أمر به فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة فقال الرجل حينئذ انطلق اليه فانه أمرني بذلك فانطلق معه ومعه بعض بنيه وذهبوا الى أبرهة وكان أبرهة أمر قومه أن يعرجوا بعبد المطلب أولا على الفيلة ليرهبا وتخويفا له فان العرب لم تكن تعرفها فلما نظر الفيل الى وجهه برك كما يبرك البعير ومن الفيلة نوع يبرك فاما هذا منه وإما شبه فعله بفعل البعير وخر ساجدا وأنطقه الله تعالى فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب أي الذي كان في ظهرك وبلغ أبرهة سجود الفيل له فتطير وكان هذا الفيل لا يسجد لابرهة كما تسجد سائر الفيلة ثم دخل عبد المطلب على أبرهة وكان رضي الله عنه وسيما جسيما فهابه أبرهة وعظم في عينه فنزل عن سريره وجلس معه على بساطه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال حاجتي أن

يرد الملك على مائتي بعير أصابها فقال له لقد كنت تعجبني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال عبد المطلب أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه فقال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك ثم رد ابل عبد المطلب فأهداها الى البيت وفعل بها ما يدل على انها هدي من وضع شيء في عنقها وشق جلدها وغير ذلك وأمر أهل مكة بالخروج منها خوفا عليهم من معرة الحبشة وأتى البيت في نفر منهم يدعون الله ويستنصرونه وأخذ هو بحلقة الباب وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا * ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

ثم أرسل الحلقة وانطلق هو ومن معه الى رؤس الجبال ينظرون ماذا يكون من الحبشة (قوله أبابيل) لا واحد له من لفظه وقيل واحده إبول أو إبال كمفتاح أو إبيل كسكين أو إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها (قوله وكان الحجر الخ) روي أن كل من أصابه حجر أصابه جدري وفي لفظ ما بقي منهم أحد الا أخذته الحكة أي الجرب فكان لا يحك انسان منهم جلده الا تساقط وكانت مصيبة أرهقتها فانه لما أصابه الجدري تساقطت أنامله أنملة أنملة كلما سقطت أنملة تبعتها منه مدة وقيح ودم وسال منه الصديد والقيح ووصل صنعاء وهو كفرخ الطائر وسامات حتى انصدع صدره عن قلبه فرقتين ولم يعجل هلاكه بحجر ليعده ووقوعه عليه تنكيلا وزيادة في عقوبته والمسألة بها وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوق رأسه وهو لا يشعر حتى بلغ النجاشي وأخبره فلما أتم كلامه رماه بحجره فخر ميتا فرأى النجاشي كيف كان هلاكهم (قوله أبو قثم) بضم القاف وفتح المثلثة من القثم وهو الاعطاء الكثير أو الجمع للخير الكثير

وأحجم عن دخول مكة وأرسل الله عليهم من بحر جدة طيرا أبابيل أي جماعات متفرقات مثل الخطاطيف سود أصفر المناقير خضر الاعناق فأقبلت يكسع بعضها بعضا أمام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق مع كل طائر ثلاثة أحجار مكتوب على كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه وكانت مثل العدس وكان الحجر يقع على جنب الرجل فيخرج من الجنب الآخر أو على رأسه فيخرج من دبره أو من أسفل مركوبه ان كان راكبا ويغيب في الارض من شدة وقعه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق حتى هلكوا ثم أرسل الله تعالى سيلا عظيما فاحتمل جثثهم فألقاها في البحر وغنمت أهل مكة ما كان في مخيمهم وخرب ما حول القليس وكثرت حوله السباع والحيات ومردة الجن حتى كانوا يصيبون من أراد أن يأخذ منها شيئا واستمرت على ذلك حتى بعث السفاح من خربها وحصل له منها مال عظيم ومن كلام سيدنا عبد المطلب رضي الله تعالى عنه

انا نفوس لنيل المجد عاشقة * فان تسلت أسلناها على الاسل

لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

ثم منه الى سيدنا عبد الله رضي الله تعالى عنه ولم يختلف في اسمه وكنيته أبو قثم ويلقب بالذبيح لان أباه أراد ذبحه وفاء بنذره ثم فدي بمائة من الابل ﷺ وذلك أن عمرو بن الحرث الجرهمي لما استباح قومه الحرم وقيض الله من أخرجهم

منـه عبد الى نفائس وهى غزالتان من ذهب وفضة وأسياف وأدراع وحجر الركن كما عند ابن هشام وغيره فدفنها فى زمزم وردمها وبالغ فى طمها وفر بقومه الى اليمن فجهلت زمزم من حينئذ نحو خمسمائة سنة الى أن أمر عبد المطلب فى منامه بحفرها ودل على موضعها بين صنمين لقريش فأخذ المعول وقام يحفر ومعه ولده الحرث لا ولد له حينئذ غيره فمنعته قريش فلم يمتنع فكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى أى البناء فطلبوا منه الشركة وقالوا انها بئر أبينا اسمعيل فقال هذا شئ خصصت به دونكم فكفوا عنه الا ابن عمه عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك أى كثير فقال له أبالقلة تعيرنى والله لئن جاءنى عشرة من الولد ذكور لانحرن أحدهم عند الكعبة ثم حفر هو وولده حتى وجد تلك النفائس فقالت قريش نشركك فى هذه فقال لا وضرب الاسياف بابا للكعبة وحلاه بالغزالتين فكان ذلك أول ما حليت وأتم حفرها وأقام سقايتها ذلك العام للحاج فكانت له عزا وفخرا على قريش وعلى سائر العرب بل افتخر بها سائر بنى عبد مناف على من ذكر وانصرف الناس عن الآبار اليها لانها بئر اسمعيل ولمكانها من المسجد الحرام ثم لما كملت أولاده عشرة نام عند الكعبة وكان قد نسى نذره فرأى فى النوم قائلا يقول له يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فقام من نومه فزعا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء فرأى ثانيا أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقرب ثورا ثم كذلك فقرب جملا ثم كذلك فقال وما هو أكبر من ذلك فقيل قرب أحد أولادك الذى قد نذرته فاغتم غما شديدا فأخبر أولاده بذلك فامتثلوا فضرب بينهم القداح فخرجت على عبد الله وكان أحبهم اليه فأراد ذبحه فمنعته قريش وقالوا لئن فعلت ذلك ليصيرن سنة فيأتى الرجل بابنه فيذبحه انطلق بنا الى فلانة الكاهنة بخيبر فأمرته بتقديم الرجل

(قوله فى طمها) أى دفنها (قوله صنمين) أحدهما إساف بكسر الهمزة والآخر نائلة (قوله فمنعته قريش) قالوا والله لا ندعك تحفر بين وثنينا اللذين نحر عندهما نسائكنا فقال لابنه ذدعنى أى ادفع عنى فوالله لأمضين لما أمرت به فلما رأوه غير تارك كفوا عنه (قوله والله لئن جاءنى الخ) مثل هذا النذر باطل عندنا كسائر الائمة لحديث لا نذر فى معصية الله الا أبا حنيفة ومحمدا فقالا يلزم فيه ذبح (٣١) شاة فى الحرم أيام النحر أخذا من قصة ابراهيم وولده عليهما السلام (قوله فقال لا) ثم قال ولكن هلم الى أمر نصف بكسر فسكون أى منصف بينى وبينكم نضرب عليها القداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين له وقدحين أبيضين لهم وجعلوا الغزالتين قسما والاسياف والادراع قسما آخر ثم ضربت القداح فخرج الاصفران على الغزالتين والاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحاهم فلم يكن لهم شئ فضرب عبد المطلب الاسياف بابا الخ (قوله لما كملت أولاده عشرة) أى بحسبان ولدى ابنه الحرث وهما أبو سفيان ونوفل لان سيدنا حمزة وسيدنا العباس ولدا بعد ذلك (قوله فامتثلوا) أى قالوا أى واحد تريد ذبحه منا نعينك عليه فأمرهم بأخذ كل واحد قدحا بكسر فسكون وهو السهم قبل أن يوضع فيه الحديد وكتب اسمه عليه ففعلوا ودخلوا على هبل بضم الهاء وفتح الموحدة وضربت القداح

وعشرة من الابل فان خرجت القداح على الابل نحرت ونجا الرجل والا زيد عليها عشرة عشرة حتى تخرج على الابل ففعل ذلك فما خرجت على الابل الا بعد بلوغها مائة ولم يرض عبد المطلب حتى ضربت القداح ثلاث مرات وهى تخرج على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها آدمى ولا وحش ولا طير وهذا كله من بركة النور المحمدى التى عمت العالم من عرشه الى فرشه وهذا نسبه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه أما من جهة أمه فهو صلى الله عليه وسلم ابن آمنة رضى الله عنها بنت وهب بن عبد مناف غير عبد مناف المار فى نسب الاب ابن زهرة بن كلاب المار فى نسب الاب فأمه صلى الله عليه وسلم تجتمع مع أبيه فى جده كلاب وما أحسن ما قال هنا الاستاذ الحلوانى مخمسا ومذيلا بالتخميس الاخير

كرر حلا لخير الانام ومرحا * وأرح بها روحى هديت وروحا
واسرد لى النسب الكريم ووضحا * (نسب كأن عليه من شمس الضحى
نورا ومن فلق الصباح عمودا)
وكأنه ياصاح عقد زبرجد * أو باقة من نرجس الروض الندى
أكرم به نسبا سما بمحمد * (ما فيه الا سيد من سيد
حاز المكارم والتقى والجودا)
ما فيه الا طاهر من طاهر * ورث المكارم كابرا عن كابر
والنص فى الشعراء أكبر شاهر * فضل السجود لهم كسيف باتر
مولاى فاجعلنى بهم مسعودا

وصل اللهم على سيدنا محمد عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك وعلى آله وصحبه وسلم كذلك والحمد لله رب العالمين

(الفصل الرابع)

فى وقت الحمل به صلى الله عليه وسلم ومدته وما ظهر عند ذلك من دلائل نبوته (اعلم) هدانى الله واياك لصالح الاعمال أن وقت الحمل به صلى الله عليه وسلم كان ليلة الجمعة أول ليلة من رجب روى الخطيب البغدادى عن سهل بن عبد الله التسترى قال لما أراد الله تعالى خلق

(قوله ليلة الجمعة) ولذلك كانت أفضل الليالى ويومها أفضل الايام ومن أعياد الامة ويسن الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيهما شكرا لله على ذلك وفرحا وتعظيما له صلى الله عليه وسلم (قوله رجب) مصروف كما فى المصباح أو غير مصروف اذا أريد به معين كصفر كما ذكره السعد لانه معدول به عن الرجب والصفر أو لانه مؤنث باعتبار المدة

سيدنا

(قوله فقال لها أنا مع أبي الخ) انما رد عليها بذلك من غير زجر كرامة منه رضي الله تعالى عنه واعراضا عن مساوئ الخلق أو لفهمه أنها مريدة التزوج لا الفاحشة كما يدل عليه كلامها الآتي ولذا قال الزرقاني على المواهب ولعله كان من شرعهم ان المرأة تزوج نفسها بلا ولي ولا شهود لانها لم تكن زانية ولا مريدة له بل كانت عفيفة (قوله فأتى به أبوه الى وهب الخ) فقد ذكروا في السبب الذي دعا

عبد المطلب الى اختيار بني زهرة وجوها منها

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنة أن يفتح الفردوس وأن ينادي مناد في السموات والارض ألا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا انتهى وكان ذلك حين دخل السيد عبد الله رضي الله عنه بالسيدة آمنة رضي الله عنها قالوا لما نحرت الابل عن سيدنا عبد الله مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى اسمها قتيلة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وكانت تسمع من أخيها ورقة أنه كائن في هذه الامة نبي وأن من دلائله أن يكون نور في وجه أبيه كالكوكب الدري فنظرت الى نور النبي صلى الله عليه وسلم يتلألأ في وجهه مع ما كان عليه من الحسن والجمال فانه كان أحسن رجل رؤي في قريش حتى ان نساء قريش شغفن به ولقي منهن عناء ومشقة كما لقي سيدنا يوسف عليه السلام من زليخا روي عن العباس أنه لما بنى عبد الله بآمنة أحصوا مائتي امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على ما فاتهن من عبد الله وأنه لم تبق امرأة في قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة فقالت له قتيلة لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن تريد منه الجماع ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها أنا مع أبي الآن لا أستطيع خلافه ولا فراقه وانصرف فأتى به أبوه الى وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبا وموضعا فدخل بها حين أملك فوقع عليها من فوره فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل نوره اليها وأقام عندها ثلاثة أيام على عادتهم اذا دخل الرجل على امرأته عند أهلها ثم خرج من عندها فجاء أخت

ما جاء عن ولده العباس رضي الله تعالى عنهما قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتاء فنزلت على حبر من أحبار اليهود يقرأ الزبور أي الكتاب ولعله التوراة فقال من الرجل قلت من قريش قال من أيهم قلت من بني هاشم قال أتأذن لي أن أنظر الى بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة ففتح احدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الاخرى فقال أنا أشهد أن في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذلك قلت لا أدري قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة أي لانها تشايع الزوج وتنصره قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فلما رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن

عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ولده عبد الله آمنة بنت وهب أخي وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت قريش تقول فلج بفتح اللام والجيم عبد الله على أبيه أي فاز وظفر بما لم يناله أبوه من هذا المولود العظيم (قوله نسبا) أي من جهة الاب وموضعا أي من جهة الام (قوله أملك) أي عقد

ورقة يريد أن يتعرف السبب الذي دعاها الى بذل ذلك القدر الكثير في مقابلة
هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال فلما رأته لم تقبل عليه فقال مالك
لا تعرضين علي ما كنت عرضت قالت له من أنت قال أنا فلان قالت ما أنت هو
لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ما صنعت بعدي فأخبرها فقالت والله
ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في وأبى الله
الا أن يجعله حيث أراد اذهب فأخبرها أنها حملت بخير أهل الارض ﴿ وأما
مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فكانت تسعة أشهر على الاصح المشهور وأما
ما ظهر عند الحمل به من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو نعيم عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة بسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج أهلها ولم تبق
كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها أي تابعها
من الجن وانتزع علم الكهانة منها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح
منكوسا وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك وفرت وحوش المشرق
الى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا أي
بقدومه صلى الله عليه وسلم وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء
في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القسم صلى الله عليه وسلم ميمونا
مباركا وروى عن كعب الاحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها
والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستقر الليلة في بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت أصنام الدنيا
منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض
وحملت الاشجار وأتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها
برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج وروى أنه لم يبق في تلك
الليلة دار الا أشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وروى ابن
اسحق أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت أي في المنام حين حملت به صلى الله
عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة (وفي رواية) عنه أيضا أنها
قالت ما شعرت أي ما علمت أني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد

(قوله علم الكهانة) هي معاناة علم الغيب بتلقيها من الجن المسترقين للسمع من السماء (قوله آن) أي قرب (قوله صفاحها) أي جوانبها وقوله وبقاعها أي اجزائها وقوله فيا طوبى لها أي فيا فرحها وقرة عين (قوله منكوسة) أي مقلوبة على رؤسها (قوله الرفد) بكسر الراء الخير الكثير (قوله الفتح) أي فتح الخير والابتهاج السرور (قوله ما شعرت) بفتح أوله وثانيه وقوله ثقلا بكسر ففتح أو فسكون تخفيفا (قوله وحما بفتحتين) هو اشتهاء الحبلى الشيء

النساء الا أنى أنكرت حيضتى وأتانى آت وأنا بين النوم واليقظة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الانام أى الخلق قاطبة ثم أمهلنى حتى اذا دنت ولادتى أتانى فقال قولى أى اذا وضعته أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ﷺ ولما تم للسيدة آمنة من حملها شهران توفى سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وهو ابن ثمان عشرة سنة على الصحيح وكان قد ذهب مع قريش الى غزة فى تجارتهم ورجع ضعيفا فلما مروا بالمدينة تخلف عند أخوال أبيه بنى عدى ابن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند أخواله فبعث اليه أخاه الحرث فوجده قد توفى ودفن فى دار التابعة وفيه صلى الله عليه وسلم خلف من كل مفقود وبمروج مواسمه بزغت كواكب السرور والسعود وما ألطف ما قال الاستاذ الحلوانى والى الله عليه مواسم التهانى

أهلا بعرف البشر جاء مبشرا * بالمصطفى عين الصفا خير الورى
رقى السعود على منابر مجده * من ليلة الحمل الشريف وكبرا
وبكل فج فى العوالم قد سرى * بين الورى أرج السرور معطرا
وأتى كريم الامر رضوان العلا * أن يفتح الفردوس عالية الذرى
وسرى النداء بأن نور المصطفى * فى أمه الفضلى يبيت مقررا
وبذا تصايحت الدواب وأعلنت * بالجل ناطقة هديت بلا امترا
واستبشرت كل الوحوش وبشرت * كذوى البحار وحق أن تستبشرا
وغدا المنادى فى جميع شهوره * بظهوره فى العالمين مبشرا
وتنكست الاصنام والارض ازدهت * والرفد عم ونوره قد أزهرا
فعليه صلى ثم سلم ربه * وعلى جميع الآل ما سار سرى

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا وسلم كذلك والحمد لله رب العالمين

(الفصل الخامس)

فى بيان وقت المولد الشريف ومكانه وباهر آياته وما كان عليه المصطفى عند ولادته من محاسن صفاته صلى الله عليه وسلم

(قوله حيضتى) بفتح الحاء وهى المرة الواحدة من نوب الحيض استعملت فى مطلق الدم الذى تراه الحائض (قوله توفى سيدنا عبد الله) ذكر عن ابن عباس أنه لما توفى عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم بتثليث التاء النبى صلى الله عليه وسلم قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ولا يرد عليه بقاء أمه حتى بلغ ست سنين أو أكثر لان تعلق الحقوق انما هو بعد البلوغ وليعلم صلى الله عليه وسلم أن العزيز من أعزه الله وأن قوته صلى الله عليه وسلم ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى (قوله التابعة) بتاء فوقية وموحدة وعين مهملة رجل من بنى عدى بن النجار (قوله فى بيان وقت المولد الخ) هذا الفصل هو المقصود من الكتاب وانما لم يجعل آخره على العادة من أن الثمرة المقصودة تكون آخر العمل لانا التزمنا كما تقدم أن نتكلم على رضاعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لا يحسن تقديمه على المولد تأخره فى الوجدان

(قوله بعيد الفجر) فلا مخالفة بين الاحاديث الدالة على انه ولد نهارا والاحاديث الدالة على انه ولد ليلا اذ هذا الوقت يصح نسبته لليل لبقاء أثر الظلام فيه ولانه اصطلاح الفلكيين اذ الليل عندهم ما بين الشروق والغروب ويصح نسبته للنهار لانه وقت ظهور مباديه ولانه اصطلاح الفقهاء اذ النهار عندهم من الفجر الى الغروب (قوله التي تخمت الخ) قال الغوث المذكور وفيها يجتمع أهل الديوان من الاولياء من أقطار الارض بغار حراء خارج مكة وفيهم الغوث والاقطاب السبعة وغيرهم ومنهم تستمد جميع الامة فمن وافق دعاؤه دعاءهم ووقوفه وقوفهم في تلك الساعة استجيب له وقضي وطره قال في المواكب وليلة المولد الشريف التي ولد فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم لا مثلها من كل سنة أفضل الليالي على الاطلاق ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء المعينة أي لا ما يشمل نظيرتها في كل عام ثم ليلة عرفة وهي ليلة (٣٦) عيد الاضحى ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شعبان ثم ليلة عيد الفطر هذا بالنسبة لنا أما بالنسبة له صلى الله عليه وسلم فليلة الاسراء أفضل مطلقا لما ناله فيها من الكرامة والزلفى والرؤيا العينية وقال ابن حجر بتفضيل ليلة القدر مطلقا من حيث العمل (قوله فهو بمكة) اعلم انه يجب الايمان بأنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة وأنه لا يجوز اعتقاد غيره وانه أول واجب للاولاد على أصولهم أن يعلموه لهم اذا بلغوا سبع سنين وميزوا وكذا كونه بعث بها وكونه هاجر منها الى المدينة وكونه توفي بالمدينة ودفن بها وكون اسمه محمدا واسم أبيه عبد الله واسم أمه آمنة وكونه بعث الى الخلق كافة وكونه أبيض مشربا بحمرة سليما من كل عيب صلى الله عليه وسلم (قوله بآخر شعب الخ) أي بزقاق المدكك وقد كانت دار الهاشم ثم صارت لابنه عبد المطلب ثم صارت له صلى الله عليه وسلم حظ أبيه منها فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم باع عقيل بن أبي طالب الدار كلها او كذا منازل اخوته حين هاجروا كما فعلت قريش بدور المهاجرين ولذلك ضرب صلى الله عليه وسلم خيمته بالحجون لما فتح مكة فقيل له ألا تنزل منزلك من الشعب أي شعب بني هاشم فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وتركه صلى الله عليه وسلم حقه لعقيل كان تفضلا عليه وتألفا له ثم اشتراها محمد بن يوسف أخو الحجاج الثقفي من ولد عقيل وأدخلها في داره التي يقال لها البيضاء ولم تزل كذلك حتى اشترتها الخيزران بضم الزاي جارية المهدي

قد اختلفت العلماء في عام المولد الشريف وفي شهره وفي أنه لكم ليلة منه وفي أنه هل كان ليلا أو نهارا وفي أنه أي ليلة أو يوم كان وفي مكانه على أقوال كثيرة وانا ذاكر المختار في ذلك كله أما العام فعام الفيل أي ولد صلى الله عليه وسلم في العام الذي حبس فيه الفيل عن دخول مكة بعد يوم الفيل بخمسين يوما على ما صححه بعضهم وأما الشهر فربيع الاول على الصواب وأما أنه لكم ليلة منه فلاثنتي عشرة منه وأما أنه هل كان ليلا أو نهارا فالذي انحط عليه كلامهم أنه ولد بعيد الفجر لكن الذي جزم به الغوث الدباغ من طريق الكشف أنه ولد آخر الليل قبل الفجر بمدة وأن خلاص أمه تأخر الى طلوع الفجر وأن المدة التي بينهما هي ساعة الاجابة الليلية التي تخمت الاحاديث أمرها لكنه حاول في المواكب الجمع بين هذا وما قبله فليراجع وأما أنه أي ليلة أو يوم كان فاليوم يوم الاثنين والليلة ليلته وأما مكانه فهو بمكة بيت بآخر شعب بني هاشم في سوق الليل وقد بنته الخيزران أم هرون الرشيد مسجدا فهو يتبرك به الى الآن ﴿تنبيه﴾ جرت العادة بقيام الناس

الناس اذا ذكر المولد الشريف ولا بأس به بل هو بدعة مستحبة لما فيه من
تعظيمه صلى الله عليه وسلم وظهور الفرح والسرور بقدومه صلى الله عليه وسلم
وامرى اذا لم يقم لقدومه صلى الله عليه وسلم ولو المتخيل بذكر ولادته فلمن يقام
فينبغى تأكده بل أفتى المولى أبو السعود بكفر من يتركه حين يقوم الناس
لاشعاره بضد ما تقدم هذا وأعلم أنه قد تنوه جماعة من الاحبار بليلة المولد
الشريف وأيقنوا بذهاب النبوة من بنى اسرائيل لذلك السر اللطيف فقد
قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان يهودى قد سكن مكة يتجر فيها فلما كانت
الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم
الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة
بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فانصرفوا فسألوا
فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى أمه
فقالوا أخرجى المولود ابنك فأخرجته لهم وكشفوا عن ظهره فلما رأى اليهودى
العلامة خر مغشيا عليه فلما أفاق قيل له ويلك مالك قال ذهبت النبوة من بنى
اسرائيل أما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب
وعن حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال إنى لغلام ابن سبع سنين أو
ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى يصرخ أى بالمدينة ذات غداة يامعشر
يهود فاجتمعوا عليه وأنا أسمع ما يتكلمون به قالوا يا ويلك مالك قال طلع نجم
أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة رواه ابن اسحق وفى لفظ قال هذا كوكب أحمر وهو
لا يطلع الا بالنبوة ولم يبق من الانبياء الا أحمد وروى أن عيصا الراهب الشامى
الذى كان بمر الظهران كان يلزم صومعة له وكان يدخل مكة أحيانا فيلقى الناس
فيقول يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا
زمانه فمن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته وتالله
ما تركت أرض الخمر والخمير والامن ولا حللت أرض البؤس والجوع والخوف

(قوله بكفر من يتركه) اى مالم يكن من العلماء الكاملين وقصد بقعوده التنبيه على انه بدعة وان كانت لا بأس بها والا فلا يضر اذ التنبيه على مثل ذلك من وظائفهم رضى الله عنهم (قوله قد تنوه الخ) كان سبب علمهم بوقت المولد الشريف أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما أعلمه الله (٣٧) بوقت المولد الشريف المحمدى أخبر قومه أن الكوكب الفلانى اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقته فكان علماء بنى اسرائيل يتوارثون ذلك وفى انسان العيون ان ذلك الكوكب هو المشترى وهو كوكب نير سعيد (قوله أما والله ليسطون الخ) أى ليقهرنكم ببطشه بكم وانما قال ذلك اليهودى تحريضا لهم على قتله صلى الله عليه وسلم تخوفا على ذهاب أمرهم ولم يعلم ان الله عاصمه صلى الله عليه وسلم وحافظه من الناس (قوله حسان) جوز فيه الجوهرى الصرف وعدمه بناء على انه من الحسن أو من الحس قال ابن مالك والمسموع فيه المنع (قوله يهود) بالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل كما فى المصباح (قوله وأنا أسمع) أى أقصد سماع ما يتكلمون به (قوله ولد به) أى عنده أو الباء سببية لاعتقاد اليهود تأثير النجوم شرح المواهب (قوله بمر الظهران) بفتح الميم وشد الراء اسم قرية مضافا الى الظهران بفتح الظاء المشالة سميت بذلك لمرارة مائها ويسمى الآن وادى فاطمة (قوله يوشك) بكسر الشين أى يقرب وقوله تدين أى تخضع وقوله حاجته أى من الفوز بالسعادة وقوله الخمر كسبب الشجر الملتف وجبل بيت المقدس لكثرة شجره ولعله مراده وقوله والخمير بالتصغير الخبز وقيل الشبع

الا فى طلبه فكان لا يولد فى مكة مولود الا سألوه عنه فيقول ماجاء بعد أى لم يجئ الى الآن فلما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف فى أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب فأشرف عليه فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لى الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت أتشهى هذا المولود فيكم يا أهل هذا البيت بثلاث خصال نعرفه فقد أتى عليهن منها أنه طلع نجمه البارحة وأنه ولد اليوم وأن اسمه محمد ﷺ ثم فى ليلة المولد الشريف ظهرت آيات باهرة ففيها فتحت أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وأبصرت الشمس يومها نورا عظيما وفيها تزلزلت الكعبة ثم لم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن طربا وفرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد المطلب قال ليلة ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كنت فى الطواف فلما مضى نصف الليل رأيت الكعبة سجدت نحو مقام ابراهيم وسمعت صوت التكبير الله أكبر الله أكبر الآن طهرت من أنجاس المشركين وأرجاس الجاهلية وفيها تنكست الاصنام وانقلبت على وجوهها وتوالت بشرى الهواتف به صلى الله عليه وسلم فقد كان نفر من قريش يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فأنكروا ذلك وردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه كذلك فانقلب ثلاث مرات فقالوا إن هذا الامر حدث ثم أنشده أحدهم أبياتا يتعجب من أمره ويسأله ما السبب فسمعوا من جوفه هاتفا يجيب بصوت جهير قائلا

تردى لمولود أضاءت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

وهتف هاتف حين ولد صلى الله عليه وسلم على الحجون منشدا

فأقسم ما أنثى من الناس أنجبت * ولا ولدت أنثى من الناس واحده

كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لوم القبائل ماجده

وهتف آخر على أبى قبيس بأربعة أبيات تتضمن ذلك المعنى وزيادة ولذا قال البوصيرى رضى الله عنه

وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء

(قوله كن أباه) أى أنت أبوه باستعمال الطلب فى معنى الخبر وهذا تستعمله العرب كثيرا (قوله أتشهى) أى أتمنى والمراد بالبيت بنو هاشم أو الكعبة قالوا والظاهر الاول (قوله البارحة) أى الليلة الماضية (قوله وفيها تزلزلت الخ) ذلك هو أول علامة رأت قريش من مولده صلى الله عليه وسلم (قوله تنكست) أى كما وقع ذلك عند الحل

وفيها اضطرب أى ارتج إيوان كسرى أنوشروان وانشق سقفه طولا لانه كان عقدا وارتجس أى صوت بشدة عند شقه لمتانة بنائه وسقط من شرفاته أربع عشرة شرفة وكانت اثنتين وعشرين ولم يقع ذلك الخلل فى بنائه لانه لم يبن أحكم منه اذ كسرى مع قوة سلطانه مكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة فكان لا تعمل فيه المعاول اذ هو مع شقه باق الى الآن وانما أراد الله تعالى أن يكون آية للمصطفى صلى الله عليه وسلم باقية مدى الدهر وفيها خمدت نار الفرس التى كانوا يعبدونها وكانت لم تخمد قبل ذلك بالف عام بل كانت توقد أشد الاتقاد ليلا ونهارا فلم يقدر أحد تلك الليلة على اتقاد شئ منها بوجه من الوجوه وفيها غاضت ونشفت بحيرة ساوة مع عظمها اذ كانت أكثر من ستة فراسخ فى الطول والعرض تركب فيها السفن ويسافر الى ما حولها من البلاد فأصبحت يابسة كأن لم يكن بها ماء قط وبنى موضعها مدينة ساوة الباقية الى الآن ونقصت بحيرة طبرية التى فى الشأم نقصا ظاهرا وفيها فاض وادى السماوة ولما وقع بايوان كسرى ما وقع راعه ذلك الا أنه لما أصبح تصبر تشجعا ثم رأى أن لا يكتم هذا الامر عن وزرائه ومرازبته فلبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال أتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وآخر بغيض بحيرة ساوة وآخر بعدم جريان بحيرة طبرية وآخر بفيضان وادى السماوة فلما وردت هذه الكتب ازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما راه وكان الموبذان حاضرا فقال وأنا أصلح الله

(قوله أنوشروان) معناه مجدد الملك (قوله وانشق) أى بقدر قفزة الرجل القوى وانشقاقه باق الى الآن (قوله من شرفاته) بضمتين ويجوز اسكان الراء وفتحها جمع شرفة بضمتين ويجوز اسكان الراء وفتحها وتجمع أيضا على شرف كغرف والشرفة بناء يرتفع على أعلى القصر ونحوه منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة للزينة (قوله مكث الخ) وبناه بالآجر الكبار والجص وجعل طوله فى السماء مائة ذراع كسمكه بخلاف طوله فى الارض فستون ذراعا كعرضه فيها وجعل طول كل شرفة خمسة عشر ذراعا (قوله خمدت) من باب سمع ونصر (قوله بل كانت توقد الخ) اذ كان لهم بها فتنة عظيمة حتى كانوا يرمون فيها المسك والعنبر ونحوهما (قوله بحيرة ساوة) وكانت بين همذان وقم من بلاد الفرس (قوله مدينة ساوة) سميت باسم البحيرة اذ البحيرة مشهورة بهذا الاسم قبل وجود المدينة (قوله نقصا ظاهرا) وهو المراد بغيضها فى الاحاديث الدالة عليها أو غاضت ثم عادت لما بها من العيون النابعة التى تمدها الامطار بخلاف تلك وقوله وادى السماوة هو موضع بين الكوفة والشام من ديار العرب (قوله ومرازبته) بكسر الزاى جمع مرزبان بضمها ومعناه بالعربية حافظ الحد والمراد رؤساء دولته (قوله فلبس تاجه) وكان كالمكيال العظيم مرصعا بالذهب والفضة والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه اذ كان لا تحمله عنقه فكان يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ثم يدخل رأسه فيه فاذا استوى فى مجلسه كشف عنه الثياب فلم يره رجل لم يره قبل الا برك هيبة له (قوله الموبذان) بضم الميم وحكى فتحها وفتح الموحدة وحكى كسرها فقيه الفرس ورئيس حكامهم الدينية كقاضى القضاة للمسلمين

(قوله عرابا) بكسر العين أي كراما وقوله قطعت أي عبرت ودجلة بفتح الدال وكسرها نهر بغداد (قوله بالحيرة) بكسر الحاء بلد قرب الكوفة كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية (قوله بالحدثان) بكسر فسكون أي حوادث الدهر (قوله مشارف) بفتح الميم وفاء آخره أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة (قوله سطيح) بوزن جريح وكان أعجوبة كان جسدا ملقى لا جوارح له ولا عصب سوى الكفين وجمجمة يؤثر فيها اللمس لينها وكان وجهه في صدره في جمجمته اذ ليس له عنق ولا رأس وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فكان ينتفخ ويجلس ولا يتحرك منه الا لسانه واذا أريد نقله من مكان طوى من رجليه الى ترقوته كالثوب ثم وضع على سرير له من جريد وخوص فيذهب به حيث شاء واذا أريد استخباره عن المغيبات حرك كما يحرك سقاء اللبن ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلو النفس فيخبر عما يسئل عنه ولم يكن أحد أبعد منه صيتا في علم الكهانة (قوله نزيح) أي بعيد ومشيح بضم الميم فشين معجمة أي سريع وأوفى على الضريح أشرف على القبر وساسان أبو الاكاسرة والتلاوة قراءة القرآن والهراوة بكسر الهاء العصا الضخمة أو مطلقا كالعنزة بفتح العين المهملة والنون وهي عصا قدر نصف رمح في طرفها حربة صغيرة كانت للزبير بن العوام أعطاها له النجاشي لما قاتل بها عدوا للنجاشي بين يديه وظهر عليه شهد بها الزبير وملكات رضي الله تعالى عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر فكان بلال رضي الله تعالى عنه يحملها بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد حتى تركز أمامه صلى الله عليه وسلم فيصلي اليها وكذا كان يصلي اليها في أسفاره وكثيرا ما مشى بها في يده ولما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها الصديق فأعطاها له فلما قبض أخذها الزبير ثم طلبها عمر فأعطاها له فلما قبض أخذها ثم طلبها عثمان فلما قتل أخذها علي ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وهي معدودة في حرابه صلى الله عليه وسلم النجسة (قوله يملك) بفتح الياء وكسر اللام فاعله ملوك أي لا يتولى أحد منهم الملك الا أربعة عشر بعدد الشرفات وبعد ذلك يذهب ملكهم

الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا رأيت إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس فقال أي شيء هذا يا موبذان قال حدث عظيم يكون من ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب الى النعمان بن المنذر ملك العرب أن وجه الي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو الغساني وكان كاهنا عاش أكثر من ثلثمائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال له ألك علم بما أريد أن أسألك عنه فقال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه فقال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله ثم ائتني بخبره فجاءه وهو محتضر وعمره ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة فسلم عليه وكلمه فلم يرد عليه فقال أبياتا يستجوبه بها فلما سمعها تحرك وقال عبد المسيح من بلد نزيح على جمل مشيح جاء الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في فارس يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وظهر صاحب الهراوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس وفاض وادي السماوه فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك

(قوله الى أن يملك منا الخ) أى قال ذلك مستبعدا مدة ملك الاربعة عشر ملكا أى ان هؤلاء مدتهم بعيدة فاذا انقضت فبعدها يحصل ما يحصل فأخلف الله تعالى ظنه فملك منهم عشرة فى أربع سنين على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم وملك الباقون الى آخر خلافة عمر ولم يكن فى الاربعة عشر من النساء الا امرأتان فالمراد بالجمع فى ملكات ما فوق الواحد وكان موت أنوشروان هذا بعد مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم بسبع سنين وثمانية أشهر (قوله بالشهب) وهى شعل من نار تنفصل من الكواكب وقوله منعت الخ وذلك انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فيصعدون اليها فيسمعون الملائكة تحدث بما قضاه الله فى العالم لانه تعالى اذا قضى فى خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم وهكذا الى السماء الدنيا فيسبحون ثم يتساءلون لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا ويخلطون عليه أكثر من مائة كذبة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من الجميع (٤١) بالرجم بالشهب لكن صاروا يصعدون بعد ويصلون الى مقاعد أى أماكن قريبة من أبواب السماء الدنيا فيستمعون منها فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر الرجم بالشهب جدا حفظا للوحى أن يلتبس بغيره مدة نزوله بل وبعد انقضائه أبدا لئلا تتوهم ضعفة العقول عود الكهانة ومن ثم قال

وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم مات من ساعته وقدم عبد المسيح على كسرى فأخبره فقال الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور وفيها رن ابليس لعنه الله رنة عظيمة كما رن عند الجعل وتنكس عرشه ووكل به ملك على رأسه يغطسه فى مضيق البحار أربعين صباحا حتى صار أسود محترقا وفيها زيد فى حراسة السماء بالشهب ومنعت الجن من استراق السمع بالكلية ولقد أحسن الشقراطسى حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت * بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل

وصرح كسرى تداعى من قواعده * وانقض منكسر الارجاء ذا ميل

(٦ — خلاصة)

صلى الله عليه وسلم لا كهانة بعد اليوم ولما كثر الرجم بالشهب قالت قريش ان الساعة قد قامت فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا العيوق بفتح العين المهملة وتشديد التحتية آخره قاف نجم أحمر مضىء على أطراف المجرة يتلو الثريا لا يتقدمها فان رمى به فقد قامت الساعة والا فلامر حدث وقد اختلف فى أن المرجوم يتأذى فيرجع أو يحرق به لكن قد تصيب الصاعد مرة وقد لا تصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يرد انهم من النار فلا يحترقون لانهم ليسوا من النار الصرفة كما أن الانسان ليس من التراب الخالص على أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة أهلكتها كما قاله البيضاوى ويشهد له ما ورد من أن نار الدنيا تستعيذ بالله أن يدخلها نار الآخرة (قوله الاشراق) الاشراق أول النهار والطفل دنوها من الغروب طفلت الشمس للغروب أى دنت منه والمراد كثرة الازمنة التى وقع فيها ذلك (قوله وصرح) أى قصر كسرى تداعى أى تساقط من قواعده مبالغة اذ لم يهدم والارجاء النواحى وفارس علم على قوم يعبدون النار وقوله ألف عام هى مدة عبادتهم النار أما مدة ملكهم فثلاثة آلاف ومائة وأربع وستون سنة لانهم لم يعبدوها أول ملكهم بل بعد رفع كتابهم لما بدلوه ومن هنا قال أصحابنا ان لهم شبهة كتاب وبحيرة القوم بحيرة ساوة والقوم

الفرس اذهى فى أرضهم وانبعثت مطاوع بعث وثواقب جمع ثاقب وهو النجم المتوقد المضىء والشهب بسكون الهاء للتخفيف جمع شهاب أى المصابيح التى أخبر الله انه زين بها السماء الدنيا وجعلها رجوما للشياطين والشعل جمع شعلة المنفصل من النجوم (قوله وسكنوا عليه) وفى المواهب انه متكلم فيه (قوله من قرابتى) وفى لفظ من القوم لاذكر ولا أنثى ومرادها انه لم يحضرها أحد لكن ذلك فى أول الامر والا فقد حضرها بعض النساء عند الولادة وحضرها عبد المطلب بعد (قوله وجبة) بسكون الجيم وبموحدة اى سقطة ذات صوت ولعل ذلك كما قيل حركة الملائكة الذين حضروا تعظيما وزينة للمولد الشريف وسرورا

ونار فارس لم توقد وما خمدت * مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرّت لمبعثه الاوثان وانبعثت * ثواقب الشهب ترمى الجن بالشعل

ولما آن أوان اشراق الكائنات بظهور نور مظهر التجليات صلى الله عليه وسلم حصل للسيدة آمنة رضى الله تعالى عنها ما كانت تحدث به عن نفسها كما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأبو سعيد النيسابورى عن كعب الاحبار ونقله الحفاظ وسكتوا عليه وذلك أنها كانت تقول لقد أخذنى ما يأخذ النساء أى من الطلق ولم يعلم بى أحد من قرابتى لاذكر ولا أنثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض مسح على فؤادى فذهب عنى الروع وكل وحشة كنت أجدها ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فيها لبن فتناولتها فشربتها فأضاء منى نورها ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينا أنا أعجب من ذلك وأقول واغوثاه من أين علمن بى فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء الحور العين فاشتد الامر بى وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينا أنا كذلك اذا أنا بديباج أبيض قد مدّ بين السماء والارض وفى لفظ رأيت علما من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والارض واذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس أى اذا ولد ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم

به (قوله على فؤادى) هو غشاء القلب (قوله بشربة) هى المرة من الشرب والمراد بها هنا انية على سبيل المجاز من اطلاق الحال وارادة المحل وهو المشربة بكسر الميم أو على تقدير مضاف أى آنية شربة وقوله فيها لبن الخ وفى رواية ظننتها لبنا وكنت عطشى فشربتها فاذا هى أحلى من العسل (قوله طوالا) بكسر الطاء جمع طويلة (قوله كأنهن الخ) شبهت بهن لاشتهارهن بالطول والجمال وقوله نحن آسية الخ حكمة شهودهن ذلك كونهن زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الجنة وفى الحديث ان الله تعالى زوّجنى مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى بن عمران والاخيرة اسمها كلثم أو كلثوم أو مريم وكانت شقيقة موسى وقد حماهن الله تعالى أن يطأهن أحد كرامة له صلى الله عليه وسلم وقوله يحدقن بضم الياء وفتحها وسكون الحاء وكسر الدال أى يحطن بى (قوله بديباج) هو ما غلظ من الحرير كالقطيفة المعروفة الآن والسندس مارق من الحرير ولا مانع من الجمع (قوله ورأيت رجالا الخ) هو والذى قبله للزينة والتعظيم

أباريق من فضة وأناء يرشح منه عرق كالجمان أطيب ريحا من المسك الاذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل علي وعبد المطلب ناء عني فرأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فأبصرت ساعتي تلك مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض واشتد الامر جدا فكنت كأني مستندة الى أركان النساء وكثرن علي حتى كأنهن معي في البيت وأنا لا أرى شيأ فولدت محمدا صلى الله عليه وسلم وحينئذ يستحب القيام كما تقدم تعظيما له صلى الله عليه وسلم قالت رضي الله عنها فلما خرج من بطني درت فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع إصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء نزلت حتى غشيته فغيب عن وجهي برهة فسمعت مناديا ينادي ويقول طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شرق الارض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي ولا يبقى شئ من الشرك الا محي به في زمنه ثم تجلت السحابة عنه في أسرع وقت فاذا أنا به مدرج في ثوب صوف أشد بياضا من اللبن وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الابيض واذا قائل يقول قبض محمد صلى الله عليه وسلم على مفتاح النصر ومفتاح الذكر ومفتاح النبوة ثم أقبلت سحابة أخرى أعظم من الاولى لها نور يسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة من كل مكان وكلام الرجال حتى غشيته فغيب عن عيني أكثر وأطول من المدة الاولى فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الشرق والغرب وعلى موالد النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والسباع وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث

(قوله كالجمان) بضم الجيم وتخفيف الميم آخره نون هو اللؤلؤ واحدته جمانة (قوله الاذفر) الذفر بفتحتين كل ريح ذكية يقال مسك أذفر بين الذفر وبابه طرب اهـ من المختار اهـ من حاشية العلامة الحفني على ابن حجر على الهمزية (قوله ياليت عبد المطلب الخ) تمنت دخوله عليها لتأنس به ويبتهج برؤية ما رأته (قوله ناء) أي بعيد (قوله الزمرذ) بضمات وشد الراء آخره ذال معجمة على الافصح وهو الزبرجد (قوله فأخذني المخاض) أي تحرك الجنين للخروج (قوله كأنهن معي الخ) أي لسن غريبات (قوله صلى الله عليه وسلم الخ) الظاهر أن الصلاة من الراوي كما قاله الزرقاني (قوله المبتهل) أي المتذلل المبالغ في الدعاء (قوله وصورته) زاد في رواية ويعرفوا بركته (قوله ويعلمون) باثبات النون على الاستئناف وقوله سمي فيها أي في البحار والمناسبة فيه أن الماء يمحو النجس الحسي كما أنه صلى الله عليه وسلم يمحو المعنوي (قوله ثم تجلت) أي انكشفت (قوله روحاني) بضم الراء وفتحها كما تقدم أول الكتاب

(قوله خلق آدم) بفتح فسكون أي صورته وفي الحديث أنا أشبه الناس بأبي آدم وكان أبي ابراهيم أشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي لفظ صفاء آدم (قوله ومعرفة شيث) نقل الثعالبي وغيره أن الله علمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الحق تعالى في كل ساعة منها قال صلى الله عليه وسلم بربي عرفت كل شئ

(قوله وشجاعة نوح) لو لم يكن من شجاعته صلى الله عليه وسلم الا صبره على ايذاء قومه مع تمنتهم أقسمة الاخسين عاما لكفى وشجاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تنكر قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار الآية كافة وهو فرد جهاد الكل وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش (قوله وخلة ابراهيم) أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم خلة أعظم منها فني الطبراني صاحبكم خليل الله وفي حديث الشفاعة أن ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا يقول انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيري الى أن ينتهوا اليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها فهذا يدل على أن خلته صلى الله عليه وسلم مرفوع معها الحجاب ولو كانت من وراء وراء لاعتذر كابراهيم (قوله ولسان اسمعيل) أى العربية قال القاري وقد رضي الله تعالى عنه له صلى الله عليه وسلم مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها وفي الحديث أيضا أنا أفصح العرب بل زاد على ذلك فكان يتكلم بكل لغة اتساعا في الفصاحة (قوله ورضا اسحق) أى بالذبح على القول بأنه الذبيح وقد رضي نبينا صلى الله عليه وسلم بما هو أقوى من ذلك فقد أدمى الكفار رجليه وكسروا رباعيته وشجوا وجهه واجتمعوا على قتله وحاربوه وهو مع ذلك راض يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (قوله وفصاحة صالح) كان عليه السلام أفصح أهل زمانه ومما يدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم لا يدانيه أحد في الفصاحة (قوله وحكمة لوط) هي المشار اليها بقوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما قال البيضاوي أى حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم ومابلغه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لا مضارع له فيه (قوله وبشرى يعقوب) وصوت

وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضا اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع

اعلها بسلامة ولده أو بالفوز بدعوة أبيه دون أخيه عيصو وقد بشر نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه بامور كثيرة (قوله وجمال يوسف) ظاهر وجمال نبينا أظهر (قوله وشدة موسى) فناهيك أنه قتل الرجل بوكزة وشدة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق ذلك فقد قتل أبي بن خلف بأدنى شئ حتى عيره قومه فقال لو بصق على محمد لقتلني وصارع بمكة رجلا كان لا يقدر على صرعه أحد فصرعه الى غير ذلك (قوله وصبر أيوب) أى الممدوح عليه في قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصبر لا يضبطها الحصر (قوله وطاعة يونس) أى لله تعالى من الصغر روى أنه لما بلغ سبع سنين قال لامه أريد كسوة الصوف حتى ألحق بالعباد فلم تجبه فلم يزل بها حتى كسته وكان معهم حتى تم له خمس عشرة سنة وطاعة نبينا صلى الله عليه وسلم كانت من قبل السبع حتى لقد كان يخرج هو وأخوه من الرضاع في بني سعد فمران بالغلمان يلعبون فيلعب أخوه فاذا رآهم صلى الله عليه وسلم أخذ بيد أخيه وقال إنا لم نخلق لهذا بل كانت طاعته صلى الله عليه وسلم من وقت خروجه من بطن أمه حيث نزل ساجدا (قوله وجهاد يوشع) حيث قاتل الجبارين بعد موسى والنبي صلى الله عليه وسلم جاهد الجبارين يوم بدر واستمر على الجهاد حتى قبض واستمر شرعه على ذلك الى يوم القيامة ولله الحمد

(قوله وصوت داود) حسن صوته معلوم وصوت نبينا أحسن قال عليه الصلاة والسلام مابعث الله نبيا الاحسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا (قوله وحب دانيال) أحبه الله وألقى حبه فى قلوب الخلق ألقته أمه لما ولدته فى أجمة أسد ولبؤته مخافة أن يقتله الملك لما أخبره المنجمون بانه يولد ولد يفسد ملكه فأمر بقتل من يولد تلك الليلة فبات الاسد ولبؤته يلحسانه ونجاه الله وحسبك من محبوبية نبينا صلى الله عليه وسلم أنه انفرد باسم الحبيب حتى حن اليه الجماد فضلا عن الحيوان (قوله ووقار الياس) أعطاه الله صفة ملكية وهيئة روحانية وأعطى قوة سبعين نبيا ولقد أوتى نبينا صلى الله عليه وسلم من الملكية والروحانية ماوصل به الى الحد الاقصى حتى كان صلى الله عليه وسلم (٤٥) اشدة وقاره وجلاله لا يستطيع أحد أن

وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه فى أخلاق النبيين ثم تجلت عنه فى أسرع من طرفة عين فاذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء معين واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل فى قبضته طائعا باذن الله عز وجل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم القادر على مايريد (وفى رواية) ثم نظرت اليه واذا به كالقمر وريحه يسطع كالمسك الاذفر فبينا أنا أتعجب اذا بثلاثة نفر ظننت أن الشمس تخرج من خلال وجوههم فى يد أحدهم ابريق من فضة وفى ذلك الابريق ريح المسك وفى يد الثانى طست من زمرد أخضر عليها أربع نواح فى كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء واذا قائل يقول هذه الدنيا شرقها وغربها برها وبحرها فاقبض ياحبيب الله على أى ناحية شئت قالت فدرت لأنظر من أين قبض من الطست فاذا هو قد قبض على وسطها فسمعت قائلا يقول قبض على الكعبة ورب الكعبة أما ان الله تبارك وتعالى قد جعلها له قبلة ومسكنا مباركا ورأيت فى يد الثالث حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه ثم حمل ابنى فناوله صاحب

يثبت بصره فيه حتى كان يستحى منه غير بنى آدم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندنا داجن فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا قر وثبت واذا خرج صلى الله عليه وسلم جاء وذهب (قوله وعصمة يحيى) عصمه الله من اللعب فى صغره قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل تعلم التوراة فى صغره وقيل ان صبيانا دعوه للعب فى صغره فقال أو للعب خلقنا وقد سبق مايدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان بالمقام الاعلى فى ذلك (قوله وزهد عيسى) زهده عليه السلام مشهور وزهد نبينا صلى الله عليه وسلم أعلى كما هو معلوم ومسطور (قوله ثم تجلت) أى السحابة (قوله بخ بخ) الاول منون والثانى مسكن وبتسكينهما وبتنوينهما وبتشديدهما وتفرد ساكنة ومكسورة ومنونة مضمومة كلمة تقال عند الرضا أى عظم الامر وفخم كما فى القاموس (قوله يسطع) بفتح الطاء أى يظهر (قوله بثلاثة نفر) باضافة ثلاثة الى نفر اضافة بيانية عند أهل البصرة أو من اضافة الصفة للموصوف عند الكوفيين أو بتنوين ثلاثة ونفر بدل منه (قوله طست) بفتح الطاء وكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر فيقال طس واثباتها غلط وأخطأ من أنكرها (قوله فى يد الثالث) هو رضوان خازن الجنة كما فى رواية (قوله فنشرها) أى فردها (قوله تحار الخ) أى تتحير أبصار الناظرين فى مكان أقرب منه الى الرائى لشدة ضوئه

(قوله فغسله) أي غسل الملك النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كلاما كثيرا) لعله الأذان فيوافق شريعته قاله صاحب المواكب (قوله ولا يقربني) بضم الراء والباء الموحدة ان جعلت الواو حالية وبفتحها ان جعلت المعية بعد الاستفهام التعجبي فان الهمزة مقدرة فيما قبله (قوله الشفاء) بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء ممدودا أو مقصورا وقيل بفتح فشدة ممدودا وهي من بني زهرة (قوله وأسلمت في أول الناس) روى أبو نعيم عن ابنها عبد الرحمن عنها قالت كنت قابلة آمنة رضي الله عنها فلما وضع صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يرحمك ربك فأضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الشام ثم ألبسته بالسين وفي بعض النسخ ألبنته وأضجعته فلم أنشب أي ألبث قليلا أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة بضم ففتح فسكون أي رعدة عن يميني فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المغرب وأسفر عني ذلك أي انكشف ثم عاودني الرعب والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله فكنت في أول الناس لا اسلاما أي في جملة السابقين اليه وهذا لا ينافي قول السيدة آمنة رضي الله تعالى عنها المار واني لوحيدة في المنزل لان انفرادها كان في أول الامر (قوله من تحت السرة الخ) فان قيل لو كان كذلك لتواترت به الاخبار اذ النساء لا صبر لهن على كتمان شيء رأينه فكيف بهذا العجب أجيب بأنه تعالى أراد عدم افشائه فلم تطلع

الطست وأنا أنظر اليه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ختما واحدا ولفه في الحريرة واستدار عليه خيطا من المسك الاذفر ثم احتمله فأدخله تحت أجنحته ساعة وقال في أذنه كلاما كثيرا لم أفهمه وقبل بين عينيه ثم قال أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد أعطيته فأنت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا معك مفاتيح النصرة وقد ألبست الخوف والرعب فلا يسمع أحد بذكرك الا وجل فؤاده وخاف قلبه وان لم يرك يا رسول الله ثم رأيت رجلا قد أقبل نحوه حتى وضع فاه على فيه فجعل يزقه كما يزق الحمام فرخها فكنت أنظر الى ابني يشير باصبعه يقول زدني زدني فزقه ساعة ثم قال أبشر يا حبيب الله فما بقي لنبي حلم الا وقد أوتيته ثم احتمله فغيبه عني فجزع فؤادي وذهل قلبي فقلت ويح قريش والويل لها ماتت كلها أنا في ليلتي وفي ولادتي أرى ما أرى ويصنع بولدي ما يصنع ولا يقربني أحد من قومي ان هذا لهو العجب العجاب فبينا أنا كذلك اذا به قد رد علي كالبدر وريحه يسطع كالمسك وهو يقول خذيه فقد طافوا به المشرق والمغرب وعلى موالد النبيين أجمعين والساعة كان عند أبيه آدم فضمه اليه وقبل بين عينيه وقال أبشر يا حبيبي فأنت سيد الاولين والآخرين ومضى أي آدم وجعل يلتفت ويقول أبشر يا عز الدنيا وشرف الآخرة فقد استمسكت بالعروة الوثقى فمن قال بمقالتك وشهد بشهادتك حشر غدا يوم القيامة تحت لوائك وفي زمرتك وناولنيه ومضى ولم أره بعد تلك المرة

* وكانت القابلة له صلى الله عليه وسلم الشفاء الزهرية لكن انما حضرت آخر الامر وأسلمت في أول الناس لما رأت من آيات الميلاد الشريف ويقال كانت القابلة آسية هذا وقد دلت الروايات على اتصافه صلى الله عليه وسلم عند ولادته بصفات سنية تليق بسامي مرتبته العلية منها أنه ولد كسائر الانبياء من تحت السرة لا من الموضع المعتاد تنزيها عن محل القذر ومنها أنه ولد نظيفا

عليه النسوة لفظتهن حين الولادة مع شدة سرعة الالتئام (قوله حتى رأت أمه) وكذا قابلته والحكمة في
عموم هذا النور والاشارة الى عموم هدايته لاهل الارض وانتشار شريعته في الآفاق وامتداد ملك أمته فيها
(قوله الذى يقع للمولودين) أى غيره صلى الله عليه وسلم وغير عيسى وأمه عليهما السلام كما في الحديث بل قال
مجاهد ان كل معصوم كذلك بل زاد بعضهم أولاده صلى الله عليه وسلم روى الجلال في البهجة السنية عن
عكرمة قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم أشرقت الارض نورا فقال ابليس لقد ولد الليلة مولود يفسد علينا
أمرنا فقالت له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا منه ركضه جبريل عليه السلام فوقع بعدن (قوله فقال
الله أكبر الخ) قال صاحب المواكب حفظه الله هذه هي حكمة كون هذا الذكر من أدعية الافتتاح وفي سير
الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أول ما ولد قال جلال ربي الرفيع وجاء أيضا أن هذا آخر ما تكلم به وروى أن
أول ما تكلم قال أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله

ولا مانع من ذلك كله الا بتوقيف وتكون الاولية في غير الاول حقيقة نسبية (قوله خاتم النبوة) أضيف الى النبوة لكونه علامة عليها في الكتب القديمة (قوله الى أعلى كتفه) المراد بالاعلى العظم الرقيق الذى على طرف الكتف وقيل ما يظهر عند التحرك (قوله أى بلا قلفة) تفسير مراد اذ الختن القطع ولا قطع هنا (قوله ولذة

لا قذر معه ومنها أنه خرج معه نور عم البيت والدار بل الكون حتى رأت أمه
قصور الشام ومنها أنه حفظ من مس الشيطان أى نخسه الذى يقع للمولودين
ومنها أنه لما وقع على يد الشفاء استهل فسمعت قائلا يقول يرحمك ربك ومنها
أنه تكلم حين خرج من بطن أمه فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة وأصيلا ومنها أنه ولد مختونا بخاتم النبوة بين كتفيه مائلا الى أعلى
كتفه الايسر على الصحيح وكان أحمر يشم مسكا ويتلألأ نورا يحار الناظر دونه
وكان يزيد وينقص فتارة يكون قدر بيضة الحمامة وتارة يكون أكبر من ذلك
وحوله شعرات ولم يثبت كتابة شئ عليه فلا يجوز اعتقاد ذلك ولا يغتر بما روى
فيه ومنها أنه ولد مختونا أى بلا قلفة وحكمته تكميل النظافة ولذة الجماع ولم
يكن بفعل الخلق لئلا يروا سوأته قال صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى
انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى ومنها أنه ولد مكحولا مدهونا مسرورا

الجماع) أى وتكميل لذة الجماع هذا ما قاله الخضرى وتبعه صاحب المواكب لكن الذى في المواهب عن
الفخر ان بقاء القلفة مقو للذة الجماع عند المباشرة ففي قطعها تقليل للذة وتقليل مثل ذلك هو اللائق بشريعتنا
وأقول ربما يقوى الاول حديث فضلت على الناس بأربع وعد منها كثرة الجماع ﴿ فائدة ﴾ اختلف هل
الختان واجب أو سنة فذهب أكثر العلماء ومنهم مالك وأبو حنيفة وبعض أصحابنا الى انه سنة مطلقا وذهب
الشافعي رضى الله عنه وسحنون من المالكية الى أنه واجب مطلقا وذهب بعض أصحابنا كأحمد الى أنه واجب
في حق الرجال سنة في حق النساء ثم الصحيح عندنا أن محل الوجوب بعد البلوغ ويندب في السابع من الولادة
وقيل يجب على الولى أن يختن الصبي قبل بلوغه فان قيل لم يخلق صلى الله عليه وسلم سليما من العلقة السوداء
أيضا حتى لا يحتاج بعد الى شق صدره واخراجها من قلبه أجيب بأنه انما خلق بها ثم أخرجت منه ليقع
الاطلاع على كمال باطنه باخراجها بخلاف ما لو خلق سليما منها

أى مقطوع السرأى الخلاص ومنها أنه ولد مستقيما على قدميه لا منكوسا على العادة اشارة الى خرقه العادة بشدة استقامة ذاته وصفاته وشريعته وانك لتهدى الى صراط مستقيم ولله در الاستاذ البوصيرى حيث قال وأجاد

وحيا كالشمس منك مضىء * أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للديـ * ـن سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

(قوله مقطوع السر) بلا تاء وهو ما يقطع من السرة بالهاء والخلاص بكسر الخاء (قوله ومحيا الخ) المحيا الوجه أى حبذا وجه ومنك حال من محيا ومضىء مبتدأ خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا أو حال منه لتخصصه بمنك وأسفرت أى انحسرت وانقضت عن ذلك المحيا وغراء بيضاء كما فى شرح ابن حجر والاولى أن محيا معرب أعراب فتى مرفوع عطفا على عقد فى قوله حبذا عقد سودد وكالشمس صفة أولى له ومضىء صفة ثانية كما فى حاشية الاستاذ الحفنى عليه (قوله كالشمس) شاهده حديث البخارى عن الربيع بنت مسعود لو رأيته صلى الله عليه وسلم لقلت الشمس طالعة وحديث أحمد والترمذى والبيهقى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وغير ذلك مما هو مذكور ومسطور (قوله الدين) هو لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم وحده أيضا بأنه وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات (قوله وازدهاء) أصله ازتهاء من الزهو أعنى التكبر والفخر وقعت (٤٨) تاء الافتعال وهى من الحروف الرخوة بعد زاى شديدة فتنافرتا فأبدلت دالا ثم أبقيت بلا ادغام ويجوز ادغامها بعد قلبها زايا أو الزاى دالا فى الاخرى شبه الدين على سبيل الاستعارة المكنية بمن يتأتى له أن يسر بفرح وخيل له بالسرور لوروده به صلى الله عليه وسلم موارد الاظهار على الدين كله وانتطاقه الشرف وتوشحه وشاح الاستقامة الى يوم القيامة بشهادة لا تزال طائفة من أمتى الحديث اه حفنى على ابن حجر وعيون (قوله وتوالت) أى تتابعت والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه أى صوته وقيل صوته الخفى ولا يرى شخصه والمراد هنا ما هو أعم لان البشارة جاءت على ألسنة الاحبار والكهان والجان ومنهم من يرى شخصه (قوله من فخار) هو التمدح بالخصال العلية والشيم الطاهرة المرضية (قوله وحق الهناء) أى وثبت الفرح والسرور لكل الخلق (قوله وتداعى) أى تهادم أى أشرف على الهدم لانه انشق شقا بينا آل به الى خرابه وقوله ايوان بكسر الهمزة ويقال إوان ككتاب وهو الصفة العظيمة وقيل البيت العالى وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه (قوله ولولا الخ) أى ولولا آية أى علامة عظيمة صادرة منك للوجود ماتداعى هذا البناء مع ما هو عليه من الاحكام والاتقان الذى كان يظن معه انه لا يهدمه الا نفخة الصور بدليل أنه باق الى الآن مع انشقاقه (قوله وغدا) أى صار كل بيت نار من بيوت نار الفرس التى كانوا يعبدونها وكربة أى غم يأخذ الانفس من أجل خمود النار أى سكون لهبها من غير أن يطفأ جمرها والا قيل همدت وقوله وبلاء أى صبه الله عليهم بازالة ما يعتقدونه الها لهم

(قوله وعيون) مبتدأ سوغه وصفه بقوله للفرس وقوله فهل كان الخ استفهام توبيخ وتقريع لهم أو للتعجب من حالهم (قوله مولد) بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف كان منه أى صار منه على الدوام فى طالع الكفر الخ (قوله فهنيأ به الخ) أى ثبت لها الفضل أى الشرف والكمال والعلو حال كونه هنيأ أى لا آفة فيه ولا نكد فهو حال أو مصدر لمحذوف أى يهنؤك هنيأ والهنئ عما أنالك بلا مشقة وقوله حواء أى فمن دونها من أمهاته صلى الله عليه وسلم وذكر آمنة وحواء للجمع بين طرفى الولادة وأيضا فان حواء امتازت بابرازه صلى الله عليه وسلم الى وجود عالم الاصلاب وآمنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة (قوله من لحواء) استفهام استبعادى بمعنى النفى أى من ذا الذى يشرح لها بانها أو يشفع لها فى انها حملت الخ (قوله مما حملت) أوقع ما على العاقل وهو عيسى عليه السلام وان كان نادرا لوقوعه فى القرآن لما خلقت بيدى والسماء وما بناها الآيات ولا أنتم عابدون ما أعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا (قوله شمتته الخ) التشميت أن يقال للعاطس يرحمك الله ويقال شمته وسمته بالمعجمة والمهملة أى دعا له بالسلامة من الشوامت جمع شامت وهو الذى يفرح ببلية عدوه أو ببقاء سمته أى صورته لان العطاس ربما يكون سببا لتعويج نحو العنق (قوله وشفتنا) أى فرحتنا وسرتنا لان قولها يشفى العليل ويبرد الغليل وهى أم عبد الرحمن أحد العشرة (قوله رافعا) حال من مفعول وضعته والسودد بضم السين الرفعة والسيادة على الخلق وقوله رامقا حال مثل رافعا أى ناظرا الى جهتها نظرا خفيا وقوله ومرمى الخ أى والمرمى فى رمقه السماء علو مرماه اذ العلاء أى الرفعة والشرف محل نظر من شأنه وقصده العلو أى ارتفاع مكانته ومنزلته (قوله وتدلت) أى قربت ودنت عطف على نالت وزهر النجوم أى النجوم الزهر أى المضيئة أى صار ذلك كرامة له صلى الله عليه وسلم وتعظيما لم يقع لغيره والارجاء النواحى أى نواحى البيت أو نواحى السماء أو الوجود بأسره (قوله قيصر) هو لقب لكل من ملك الروم والبطحاء مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى

وعيون الفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها إطفاء

مولد كان منه فى طالع الكفـ * ـر وبال عليهم ووباء

فهنيأ به لآمنة الفضـ * ـل الذى شرفت به حواء

من لحواء أنها حملت أحـ * ـمد أو أنها به نفساء

يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار ما لم تنله النساء

وأتت قومها بأفضل مما * حملت قبل مريم العذراء

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

وتدلت زهر النجوم إليه * فأضاءت بضوئها الارجاء

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

وصل اللهم على سيدنا محمد إمام الانبياء وسيد الاصفياء وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك وسلم كذلك والحمد لله رب العالمين

(الفصل السادس)

في رضاعه وما نشأ عليه من جميل طباعه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

(اعلم) وفقنا الله لما يرضاه ومكن من قلوبنا محبة مصطفاه أنه كان من عادات العرب إذا ولد لهم مولود أن يلتمسوا له مرضعة من غير قبيلته قيل لأنهم كانوا يرون غاية العار على المرأة أن تستقل برضاع ولدها وقيل ليكون أنجب له وأفصح إذا نشأ غريبا ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه أنا أعربكم أي أفصحكم عربية أنا قرشي واسترضعت في بني سعد وقال له الصديق رضي الله تعالى عنه ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد ولأجل ما ذكر كانت نساء القبائل التي حول مكة ونواحي الحرم يأتين مكة كل عام مرتين ربيعا وخريفا يأخذن الرضعاء فيذهبن بهم إلى بلادهن حتى تتم الرضاعة وقد سبق في علمه تعالى وإرادته الأزلية أن مرضعة حبيبه لا تكون إلا حليمة السعدية لما روي عن مجاهد قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما تنازعت الطيور في إرضاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال إي والله وكل نساء وذلك أنه لما نادى الملك في السماء الدنيا هذا محمد سيد الأنبياء طوبى لثدي أرضعه فتنافست الجن والطير في إرضاعه فنوديت أن كفوا فقد أجرى الله ذلك على أيدي الإنس فخص بتلك السعادة وشرف بذلك الشرف حليمة ذكره في الخميس وهي حليمة بنت أبي ذؤيب المكناة بأم كبشة السعدية نسبة لبني سعد بن بكر بن هوازن قبيلة مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف ولم يرضعه صلى الله عليه وسلم قبلها إلا أمه وثويبة مولاة أبي لهب فأما أمه فأرضعته ثلاثة أيام وقيل تسعة وقيل سبعة وثويبة أرضعته أياما قلائل بلبن ابنها مسروح وأرضعه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الثلاثة قال الزرقاني إن جميع مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر أي من شرب منهن ولو اتفاقيا من غير استقلال بإرضاعه صلى الله عليه وسلم إذ لم يستقل بذلك إلا ثويبة وإن قلت أيامها وحليمة رضي الله عنهما ولذلك اقتصر في المواهب عليهما ولم ترضعه صلى الله عليه وسلم واحدة إلا رزقت الإسلام ببركته صلى الله عليه وسلم وقد وردت

(قوله واسترضعت) بالبناء للفاعل لأنه لازم وسينه وتاؤه للتأكيد كما يؤخذ من الزرقاني ويحتمل أنه بالبناء للمفعول فالسين والتاء للجعل أي الصيرورة كما في المواكب (قوله والطير) لعل الطيور تمنت أن تكون لها أبزاز ولبن وترضعه صلى الله عليه وسلم (قوله ذؤيب) بالتصغير (قوله مسروح) بفتح الميم وقيل بضمها

قصة السيدة حليمة من عدة طرق أصحها ما ذكره ابن اسحق وأخرجه الأئمة بعده بأسانيد مدارها عليه وذلك أنها قالت خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على أتان قمراء في سنة شهباء لم تبق لنا شيأ ومعي زوجي ومعنا شارف لنا أي ناقة مسنة والله انها ما تبض بقطرة من لبن ومعي صبي لي ان تنام ليلنا من بكائه ما في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فلما قدمنا مكة استقبلني عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بني سعد فقال ما اسمك قلت حليمة فتبسم وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة إن عندي غلاما فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به فقلت ألا تذرني حتى أشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكأن الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وأدخلني بيت آمنة فاذا هي امرأة هلالية بدرية كأن الكوكب الدري ضرب بين أسارير جبهتها فلما رأتني قالت أهلا بك وسهلا يا حليمة ثم أخذت بيدي وأدخلتني البيت الذي فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه ريح المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه لينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حالته بعد فروي ثم روي أخوه فأخذته بما هو عليه الى أن جئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي

قوله وأخرجه الأئمة بعده) كابن راهويه وأبي يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي وذكره أبو نعيم وابن حبان في صحيحه (قوله أتان) هي أنثى الحمير ولا يقال أتانة بالهاء الا في لغة بني سليم وقمراء شديدة البياض وقوله شهباء أي ذات قحط كأن الارض لعدم خضرتها بيضاء وزوجها هو الحرث بن عبد العزى وقولها ما تبض بكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة أي ما ترشح وصبيها اسمه عبد الله وقولها ما يغنيه أي يكفيه وقولها ما يغذيه بمعجمتين من الغذاء الشامل للغداء والعشاء (قولها هلم الصبي) أي أحضره (قوله في ثوب صوف) بالاضافة أو التنوين وقوله أبيض من اللبن مقتضى كلام النحاة أن يقال أشد بياضا ولا يقال أبيض من كذا ومنهم من أجازه في الشعر ومنهم من أجازه مطلقا ويشهد له هذا الحديث وغيره ويحتمل أنه من تصرف الرواة ففي رواية أبيض أشد بياضا من اللبن (قوله يغط) بكسر المعجمة بابه ضرب أي يردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله كما في المصباح (قوله فأشفقت) أي خفت (قوله رويدا) أي قليلا بتأن (قوله فتبسم الخ) أي تحية للقائها صلى الله عليه وسلم (قوله حتى دخل خلال السماء) أي وسطها الشدة انتشاره (قوله فأقبل) أي الثدي أي در عليه (قوله فأبى) قال أهل العلم أعلمه الله ان له شريكا فألهمه العدل وأخذ الايمن حب التيمن في أموره من أول أمره (قوله بما هو عليه) أي بما هو مشتمل عليه من كونه مدرجا الى آخر ما مر وفي رواية فأخذته فما هو الا أن جئت به رحلي الخ (قوله بما شاء) أي الله (قوله فقام صاحبي) يعني زوجها

الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله إني لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا به الليلة من البركة والخير حين أخذناه قالت حليمة فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا فودعت النساء بعضهن وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتاني وأخذت سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء لي وهن ورائي يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك أخرى فأقول تالله إنها هي فيتعجبن منها ويقلن إن لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد على سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين وجعلت الاتان لا تمر بموضع الا اخضر باذن الله تعالى ولازالت الاتان تسبق دوابهم الى أن غابت عنهم والارض قد كسيت خضرة والاتان لا تلحق فلما دخلت به صلى الله عليه وسلم الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وفي رواية قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به صلى الله عليه وسلم شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقول لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه فتروح أغنامهم جياعا ما بها لبن وتروح غنمي لبنا حفلا قالت فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرفها ببركته صلى الله عليه وسلم وألقى الله محبته في القلوب حتى ان أحدهم اذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى ومن نزل به ضرر في عينيه مسح بكفه صلى الله عليه وسلم عليهما فيبرآن باذن الله سبحانه سريعا وكذلك اذا اعتل لهم دابة فيأخذون بيده صلى الله عليه وسلم فيمرونها على موضع الاذى منها أو على

(قوله الحافل) بالمهملة والفاء أي ممتلئة الضرع من اللبن (قوله فحلب ما) أي لبنا (قوله فقال صاحبي) أي حين أصبحنا كما في رواية (قوله والله اني لاراك الخ) وفي رواية فلما نظر صاحبي الى هذا قال اسكتي واكتمي أمرك فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الاحبار قواما على أقدامها لا يهنؤها أي لا يلذ لهم عيش النهار ولا نوم الليل (قوله لاراك) بفتح الهمزة أي اعتقدك (قوله نسمة) بفتحات أي ذاتا (قوله ورفعت رأسها) كأنها تشكر من خصها بذلك (قوله ويقلن النساء) على لغة أكلوني البراغيث (قوله طورا) بفتح الطاء أي مرة (قوله بعثني الله بعد موتي) أي أعطاني قوة على السير بعد الضعف الشبيه بالموت (قوله ورد على سمني الخ) وفي رواية وببركته زال هزالي واشتد نشاطي وزالت عني كربتي وسترون بركته في أنفسكم وأموالكم يا بني سعد ولتغلبن حسادكم وليكونن لكم على الناس يمنه (قوله وفي رواية) لا من اتحق (قوله لبنا) بضم اللام وكسرها الغتان وشد الموحدة أي كثيرة اللبن جمع لابن وقوله فنحلب بضم اللام وكسرها الغتان (قوله حفلا) بضم المهملة وشد الفاء جمع حافل أي مملوءة الضرع كلها

(قوله غبوقا وصبوحا) الغبوق ما يشرب بالعشى والصبوح ما يشرب بالصباح (قوله انه لفى خير) وكانت حليمة ترقصه صلى الله عليه وسلم وتقول يارب اذ أعطيته فأبقه * وأعله الى العلا ورقه وادحض أباطيل العدا بحقه وقولها فى النظم ورقه فى رواية وأرقه بالالف والاولى أنسب كما فى القاموس قاله الزرقانى وقال فى المواكب هى بالالف أنسب لفظا بأبقه وبحذفها أنسب لفظا ومعنى بحقه وادحض بكسر الحاء من أدحض الرباعى حذفت همزته للضرورة ومعناه أذل كما فى الزرقانى وقال فى المواكب وفيه أنه لا ضرورة فقد ورد الثلاثى متعديا أيضا والغالب فى مثله من الحلق الفتح فى المضارع كالماضى فلا كسر أيضا أى كالاهمزة قال الا ان ثبتت به الرواية وهيهات (قوله جفرا) بفتح الجيم وسكون الفاء أى قويا عظيما (قوله يتزحلف) (٥٣) أى يتدرج (قوله كان يرمى السهام)

كلها فتبرأ باذن الله عز وجل ولقد كان صلى الله عليه وسلم يمس ضرع الشاة للقوم فتحلب غبوقا وصبوحا وما على الارض شئ تأكله دابة وأنبت الله ببركته العشب فأعشب الوادى وعنها أنها قالت إنه لفى خير ذات يوم اذ مرت به غنيمات فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها وعنها أنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان يشب فى اليوم شباب الصبى فى شهر ويشب فى الشهر شباب الصبى فى سنة فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا وفى شواهد النبوة أنه صلى الله عليه وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع الصبيان الى كل جانب وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفى أربعة أشهر كان يمسك الجدار ويمشى وفى خمسة قوى على المشى وفى ستة كان يسرع المشى وفى سبعة كان يسعى ويعدو الى كل جانب وفى ثمانية كان يتكلم بحيث يفهم كلامه وفى تسعة كان يتكلم بالكلام الفصيح وفى عشرة كان يرمى السهام مع الصبيان ولما فصلته حليمة حين بلغ سنتين قدمت به على أمه صلى الله عليه وسلم وهى مضمرة أن ترجع به فكلمت أمه فى ذلك ولم تزل بها حتى ردته معها فكانت حليمة بعد رجوعها من مكة لا تدعه يذهب الى مكان بعيد فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته قد خرج مع أخته الشيماء

ذكر ابن سبع أن مهده صلى الله عليه وسلم وهو سرير المولود الذى يحرك به لينام ويطلق على الفرش كان يتحرك بتحريك الملائكة قال بعضهم ولم ينقل مثل ذلك لاحد من الانبياء وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج هو وأخوه أى من الرضاعة فيلعب أخوه مع الغلمان فيتجنبهم عليه الصلاة والسلام ويأخذ بيد أخيه ويقول إنا لم نخلق لهذا (قوله الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودا ويقال الشماء بلا تحتية وبشد الميم ممدودا أيضا وكانت تحضنه بضم الضاد وترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل أبى وعمى فديته من مخول معم * فأنمه اللهم فيما تنمى

وقوله مخول معم كل من هذين اللفظين بضم الميم الاولى على صيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول ومعناهما على الاول كريم الاخوال والاعمام وعلى الثانى ان غيره جعل له أخوالا كثيرة وأعماما كثيرة ومنع الاصمعى الاول فيهما أى كونهما على صيغة اسم الفاعل لكن ربما يخالفه هذا اذ الانسب بالشعر كسر الميم الثانية فى معم فيكون على زنة اسم الفاعل وحينئذ يكون مخول كذلك للمناسبة بين اللفظين وجرت من التمييز مع أنه تمييز لنسبة الفعل الى المفعول لانه ليس محولا عنه فيجوز جره نحو ما أحسنه من رجل والمعنى والله أعلم جعلت فداءه من كل

شئ يشينه من جهة شهوانه وعمومته اعلو شرفهما ورفعة منزلتهما (قوله الى البهم) بفتح فسكون جمع بهمة كذلك وهى ولد الضأن وقوله فقالت فى هذا الخ بتقدير همزة الاستفهام أى أفى هذا الحر تخرجين به أى ماينبغى ذلك (قوله يا أمه) بعلامة التأنيث المعوضة عن ياء الاضافة و يوقف عليها بالهاء (قوله يشتد) أى يسرع (قوله رجلان) قال الحلبى هما جبريل وميكائيل عليهما السلام (قوله منتقع) بفتح

الى البهم فقالت فى هذا الحر تخرجين به فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظال عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت قالت حليمة فمكث عندنا شهرين فبينما هو وأخوه بوم اخلف البيوت اذجاء أخوه يشتد فقال لى ولابيه أدركا أخى القرشى قد جاءه رجلان فأضجعاه وشقا بطنه فخرجنا فانتهينا اليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقه أبوه واعتنقته وقلنا له أى بنى مالك قال أتانى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى ثم شقا بطنى فوالله ما أدرى ماصنعا وأخرج أبو نعيم وأبو يعلى وابن عساكر أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم فى بطن وادمع أتراب لى من الصبيان اذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد أحدهم فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا أنظر اليه وصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال الاول للثالث زنه بعشرة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه فلو

القاف أو كسرها أى متغير أو متغير لونه كلون النقع أى الغبار (قوله ثم شقا بطنى) أى ما بين مفرق صدره الى منتهى عانته كما فى الرواية الآتية (قوله مسترضعا) بصيغة اسم الفاعل لان الفعل لازم وتقدم ما فيه (قوله أتراب) جمع ترب وهو من ولد معه بان كان فى سنه (قوله برهط) هو مادون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أطلق على الملائكة لحضورهم بصفة الرجال (قوله هرابا) جمع هارب (قوله فعمد) بفتح الميم وكسرها (قوله مفرق) بزنة مسجد وقد تكسر ميمه أيضا (قوله مسا) أى أثرا كانه لم يمس ولا ينافيه وجدانه منتقع اللون لجواز أنه من الفزع الحاصل من مجرد رؤية الملك وشق الصدر وزنتموه

(قوله أحشاء) جمع حشى بالقصر وهو المصارين (قوله فأنعم غسلها) أى أحسنه مجاز عن جعل الشئ ناعما (قوله وصدعه) أى شقه (قوله ثم قال بيده) أى أشار بها من اطلاق القول على الفعل مجازا لغويا (قوله والحكمة) قال النووى فيها أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك

وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا يا حبيب الله لن تراع انك لو تدري ما يراد بك من الخير اقرت عيناك اه وهذه احدى مرات شق صدره الاربع والثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند بعثته في غار حراء والرابعة عند الاسراء رجعنا الى سياق حديث حليمة رضي الله تعالى عنها قالت فاحتملناه صلى الله عليه وسلم ورجعنا به منازل بني سعد فيما يعلم الله ما بقي منزل من منازل بني سعد الا وقد شممنا منه ريح المسك الأذفر وكان في كل يوم ينزل عليه رجلان أبيضان فيغيبان في ثيابه ولا يظهران فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني أصيب فانطلق فلنرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف فرجعنا به الى أمه قالت ما ردكما وقد كنتما حريصين عليه قلت لا والله إنا قد كفلناه وأدينا الحق الذي يجب علينا فيه ثم تخوف الأحداث عليه فقلنا يكون في أهله قالت أمه والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره قالت أفتخوفتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه كائن لابني هذا شأن ثم قالت دعاه والحقا بشأنكما وروي أن السيدة حليمة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم أيام خديجة فشكت له جدب البلاد فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيرا وأجل من هذا أنها جاءته يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه ثم جاءت أبا بكر ففعل كذلك ثم عمر ففعل كذلك وروي عن ابن عباس وغيره انه لما بلغ صلى الله عليه وسلم ست سنين وأياما خرجت به أمه الى أخواله بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم وكانوا أخوالها أيضا ومعها أم أيمن فنزلت به دار التابعة فأقامت به عندهم شهرا وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون اليه قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به أمه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها على المشهور الاصح وقيل بالحجون ويشهد له روايات كثيرة وكون العمل عليه وعند موتها نظرت الى وجهه صلى الله عليه وسلم وهو عند رأسها وقالت

(قوله لن تراع) أي لا يخوفك شيء في المستقبل وفي نسخة لم ترع بجزم الفعل بلم والاولى أولى اذ المقصود بشارته والتسهيل عليه حتى لا يحصل له روع في المستقبل وقوله اقرت (٥٥) عيناك أي سكنت وبردت كناية عن السرور برؤية ما يحبه الانسان (قوله وهذه احدى مرات شق الخ) وانما تكرر ذلك ليكون لكل طور من أطوار طفوليته ثم بلوغه ثم بعثته ثم الاسراء به استعداد يخصه وكمال يليق به على عادته صلى الله عليه وسلم في ترقيه في الكمالات ثم الظاهر كما قال العلامة ابن حجر ان الكيفية المذكورة من شق صدره ثم قلبه من خصوصيته صلى الله عليه وسلم لاسيما مع تكرر ذلك وغاية ما في غيره من الانبياء أن قلوبهم غسلت في طست على ما جاء في قصة التابوت وهذا لا يستلزم هذه الكيفية البالغة في خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل قال وهذا الشق وأمثاله مما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له نقله في المواكب (قوله فيما يعلم الله) ما مصدرية والجار متعلق بيبقى أي ما بقي في علم الله منزل الخ (قوله التابعة) بفوقية مثناة ثم موحدة ومهملة رجل من بني عدي بن النجار (قوله ثم رجعت به أمه) أي خوفا عليه من اليهود وقوله الى مكة أي قاصدة الى مكة فلا ينافي قوله فلما كانت الخ (قوله بالابواء) هو واد بين مكة والمدينة (قوله وقيل بالحجون) بزنة رسول جبل بمعلاة مكة يقبرون به موتاهم وجمع بين القولين بانها دفنت أولا بالابواء ثم نقلت منها الى الحجون

(قوله بارك فيك الله الخ) هذا القول منها صريح فى انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وعن موالاتها وهل التوحيد شىء غير هذا (قوله حومة الحمام) حومة الشىء معظمه وأشد موضع فيه والحمام ككتاب الموت والمعنى يا ابن الذى من سبب الموت نجا الخ وفودى بالواو من فاداه مزيدا قلبت الالف واوا لانضمام ما قبلها حين بنى للمجهول وفى نسخة فدى بلا واو مجردا أى أعطى فداؤه وغداة أى صبيحة والسهام القداح والمراد بعد الضرب بالقداح بينه وبين اخوته حين أراد عبد المطلب وفاء نذره وسوام بالفتح جمع سام أو سامية بمعنى مرتفع أو مرتفعة القيمة وهو بلا ياء آخره والقياس اثباتها كما فى بعض النسخ لانها أصلية والانام الانس والجن أو جميع ما على وجه الارض ولعله المراد هنا وفى الحل الخ أى فى بيان الحل وبيان الحرام وكذا قوله فى التحقيق والاسلام والفاء بمعنى اللام فى الجميع ان أريد بالحل الخ الحلال وضده وان أريد به أرض الحل والبلد الحرام ففى الاخيرين فقط ودين أبيك بدل من الاسلام وابراهام لغة فى ابراهيم وقرئ بها والصرف لمناسبة القوافى وفالله منصوب على التوسع أى فأنهاك مقسمة عليك بالله عن عبادة الاصنام وأن لا توالها أى لا تنصرها ولا تعظمها وميت بالتشديد أى سيموت وأما بالتخفيف فمن حل به الموت وليس مرادا وأنا ميتة يروى بالتشديد أى سأموت وقد تركت خيرا أى عظيما وهو المصطفى صلى الله عليه وسلم وطهرا أى طاهرا أطلق المصدر على اسم الفاعل مبالغة اهـ زرقانى بنوع اختصار (قوله فى كفالة جده) وكانت أم أيمن دايته وحاضنته بعد أمه وهى التى رجعت به الى مكة بعد دفن أمه وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها أنت أمى بعد أمى بل كان يقول لها يا أمه (قوله بحيراء) كامير بألف ممدود ومقصور وبلا ألف ثلاث روايات وأما تصغيره فغلط كما صرحوا به واسمه جرجيس بكسر الجيمين وكان فى صومعة تكون لمن ينتهى اليه علم النصرانية وكان قد انتهى اليه وقيل كان

بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام * فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث الى الانام * تبعث فى الحل وفى الحرام
تبعث فى التحقيق والاسلام * دين أبيك البر إبراهام
فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت رضى الله تعالى عنها وكان بعد أمه فى فى كفالة جده عبد المطلب وكان له عليه حنو ورقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخله عليه اذا خلا واذا نام ويجلسه على فراشه وقد كان لا يجلس عليه أحد من أولاده ولا من أشراف قريش اجلالا له وكانوا يؤخرونه صلى الله عليه وسلم عنه فيقول دعوا ابنى ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابنى هذا لشأنا فلما بلغ ثمان سنين على الراجح مات جده فكان صلى الله عليه وسلم يبكى خلف سريره ودفن بالحجون عند جده قصى فكفله صلى الله عليه وسلم بعد جده عمه شقيق أبيه أبو طالب بوصية من جده ولما بلغ صلى الله عليه وسلم تسع سنين وقيل ثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع أبى طالب فى أشياخ قريش الى الشام حتى بلغ بصرى فعرفه الراهب بحيراء فخرج اليهم وكان قبل ذلك

ءرون به فلا يخرج اليهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ثم صنع لهم طعاما كرامة للمصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجعوا به لئلا تقتله الروم فالتفت فاذا سبعة قد أقبلوا من الروم فقال ما جاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث ملكا اليها بناس قال أفرأيتم أمرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوه على عدم أذية المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر أبا طالب أن يرجع به فرجع به الى مكة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة خرج الى سوق بصرى ومعه ميسرة غلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي في تجارة لها فنزل تحت شجرة يابسة نجر عودها قريبا من صومعة الراهب نسطوري فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها وأينع ثمرها وتدلت أغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم قال لميسرة أفي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال هو هو وهو آخر النبيين ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم دنا اليه نسطوري سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الا خصلة واحدة فأوضح لي عن كتفك فأوضح له فاذا بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل يقبله ويشهد له بالرسالة وحضر صلى الله عليه وسلم السوق فباع واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وقد خلا به هذا نبي والذي نفسي بيده إنه لهو الذي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم ثم باعوا تجارتهم فربحوا فيها ضعف ما كانوا يربحون وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم من الشمس ورأت ذلك خديجة أيضا لما رجعوا فأرته النساء التي عندها ومن حولها وأخبرها صلى الله عليه وسلم بالربح وأخبرها ميسرة بما

خبرا من أحبار يهود تيماء ويجوز أنه تنصر بعد فلا منافاة وقد ذكره جمع في الصحابة بناء على أن الشرط رؤيته صلى الله عليه وسلم والايمان به ولو قبل البعثة (قوله خرج الى سوق (٥٧) بصرى) وسبب ذلك كما رواه الواقدي وغيره أن أبا طالب قال يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا تجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف أن تولي غيرك فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فقالت ما علمت أنه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك

فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم الخ (قوله نجر عودها) أي نحت (قوله نسطوري) بفتح النون وسكون السين المهملة وضم الطاء مقصورا (قوله أفي عينيه حمرة) هذه الحمرة كانت في بياض عينيه وهي الشكلة التي هي احدى صفات الجمال

واحتدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يوصف بانه أشكل العينين (قوله فبعثها ذلك) أى مع ما كانت سمعته من يهودى يا نساء قريش انه يوشك أن يكون فيكن نبى فأيتكن استطاعت أن تكون فراشاله فلتفعل فحصبنه أى ضربن وجهه بالحصباء وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة بالغين والضاد المعجمتين على قوله أى أعرضت وسكتت ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك فى نفسها (قوله فتزوجها) أى بعرض منها عليه قيل بنفسها كما عند ابن اسحق قالت يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك فى قومك بسين مكسورة وطاء مفتوحة بوزن عدة من وسطهم سطة كوعد عدة جلس فى وسطهم وهو هنا كناية عن رفعة قدره فيهم ومنه فلان وسيط فى قومه قالت وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك وقيل بواسطة نفيسة بنت منية كما عند ابن سعد انها قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتنى دسيسا الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع فى عيرها من (٥٨) الشأم فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدى ما أتزوج به فقلت

رأى وعما أخبره به نسطورى وغيره فبعثها ذلك على أن تتزوج به صلى الله عليه وسلم فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه بنحو ثلاثة أشهر وعمرها اذ ذاك أربعون سنة وهى يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال وأصدقها صلى الله عليه وسلم ما عاجله وآجله من الذهب ثنتا عشرة أوقية ونش ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة

ان كفيت ذلك ودعيت الى ذات الجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب فقال من هى فقلت خديجة قال وكيف لى بذلك فذهبت اليها فأخبرتها فارسلت اليه أن ائت لساعة كذا وجمع بان الواسطة كانت لتعلم هل يرضى فلما علمت رضاه كلمته بنفسها ثم أرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها وحضر فكان صلى الله عليه وسلم فى عمومته وخطب أبو طالب خطبة طويلة شهيرة أبان فيها عن شئ من مفاخرهم ومناقبهم ومعاليه صلى الله عليه وسلم وتزوجها ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم أمرت جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك ينحر بكرا من بكراتك وأطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فاقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وحمد الله على ذلك (قوله ونش) أى نصف وهو عشرون درهما والاوقية بتشديد التحتية أربعون درهما فجملة الصداق خمسمائة درهم شرعى من الذهب (قوله بنت قريش الكعبة) وذلك ان الجسر الذى كان باعلى مكة يمنع عنها السيول المجتمعة بالبركة دون مكة فى وهدة انقطع فنزل عليها حتى دخل الكعبة وصدع جدرانها وذلك بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة جمرتها فطارت شرارة فى ثيابها أى الكعبة فأحرقت جدرانها ولما أرادوا اصلاحها هاب الناس هدمها وخافوا منه فقال الوليد ابن المغيرة أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول ثم قام وهو يقول اللهم لم نزغ أى لم نمل عن دينك ولا نخرج منه اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين الاسود واليمانى وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصب بشئ هدمناها فقد رضى الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى

عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس سيدنا ابراهيم عليه السلام أفضوا الى حجارة خضر كالأسنمة جمع سنام وهو أعلى الظهر للبعير آخذ بعضها ببعض فأدخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس وبنوا عليه (قوله أجياد) جبل بمكة (قوله ثم حكموه) أى بعد أن قالوا نحكم بيننا أول من يدخل من باب بنى شيبة فكان (٩٥) صلى الله عليه وسلم أول داخل فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا بقضائه وكانوا يدعونه قبل النبوة بالامين فأخبروه صلى الله عليه وسلم فأمر بثوب الخ قال السهيلى وذكر أن ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته يامعشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا ثم سكتوا وكان طول الكعبة من عهد اسمعيل سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر ونقصوا من عرضها اذرعا أدخلوها فى الحجر وذلك لضيق النفقة بهم لانهم التزموا أن لا يدخلوا فى عمارتها الا طيب أموالهم ورفعوا بابها عن الارض فصار لا يصعد اليه الا بدرج (قوله عظيما فى نفسه) أى مستحقا للتعظيم (قوله البائن) أى الظاهر (قوله سهل الخدين) أى ليس مرتفعهما أى ليس بالمكلثم الوجه أى مستديره (قوله أزج الحاجبين) أى كان حاجباه فيهما استقواس مع طول وقيل دقة مع سبوغ أى كمال ولا مانع من ارادة المعنيين اذ كان فيهما كل ذلك (قوله يدره الغضب) أى يصيره ممتلئا دما كما يصير الضرع ممتلئا لبنا وفى هذا دليل على كمال قوته الغضبية التى عليها مدار حماية الدار وقمع الاشرار (قوله أقنى الانف) أى طويله مع رقة أرنبته ومع حدب أى ارتفاع فى وسطه وهو وصف

فكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة من أجياد واختصموا فيمن يضع الحجر الاسود موضعه لما فى ذلك من الفخر حتى هموا بالقتال ثم حكموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بثوب فوضع الحجر الاسود فى وسطه وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من الثوب فرفعوه حتى قربوا من محله فأخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رسولا الى الخلق أجمعين ورحمة عامة لكافة العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ ولنختم لك هذا الفصل بشئ من شمائله صلى الله عليه وسلم فنقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيما فى نفسه معظما عند غيره لا يستطيع أحد ترك تعظيمه ولو حرص عليه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة تمامه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير بل كان أطول من المتوسط وكان صلى الله عليه وسلم حسن الجسم معتدل الخلق متناسب الاعضاء سمينا سمنا متوسطا وكان مع سمنه متماسكا أى ليس بمسترخ بل يمسك بعضه بعضا من غير ترجرج حتى إنه كان فى السن الذى شأنه استرخاء البدن كالشاب وكان صلى الله عليه وسلم عظيم الرأس وهو علامة النجابة يجاوز شعره شحمة أذنيه من غير جعودة شديدة أى التواء شديد ولا استرسال شديد بل كان شعره صلى الله عليه وسلم متوسطا بين الجعودة والاسترسال وكان صلى الله عليه وسلم سهل الخدين فكان فى وجهه طول مع استدارة لطيفة وكان صلى الله عليه وسلم أزج الحاجبين مفتوحهما وكان بينهما عرق يدره الغضب أقنى الانف أدعج العينين

مدح وقوله أدعج العينين أي شديد سوادهما و بياضهما والشكلة حمرة في بياض العين والاهداب شعر الاجفان
وضليع أي واسع وهو دليل الفصاحة ومفلج الاسنان أي منفرجا ما بين ثناياه صلى الله عليه وسلم (قوله ضخم
الكراديس) أي عظيمها وهي رؤس العظام كالركبة والمنكب وهذا يستلزم كمال القوى الباطنة وقوله رحب
الراحة هي بطن الكف مع بطون الاصابع وهو دليل الجود وضيقها دليل البخل وقوله طويل الزندين تثنية زند
وهو ما انحسر عنه اللحم من الذراع (قوله المسربة) كمكرمة وهي الشعر الدقيق الذي كأنه

أشكلهما طويل الاهداب ضليع الفم مفلج الاسنان كث اللحية أي عظيمها
ضخم الكراديس واسع ما بين المنكبين عريض الصدر ضخم الكفين والقدمين
وكانت كفاه صلى الله عليه وسلم مع ضخامتهما ألين من الديباج رحب
الراحة أي واسعها طويل الزندين طويل المسربة كثير شعر الذراعين
والمنكبين وأعالي الصدر خمصان الاخمصين وكان لونه صلى الله عليه وسلم
أحسن الالوان كان بياضا مشربا بحمرة وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى
مشى بقوة كأنما ينحدر من مكان عال قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه
ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه ولا رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأنما الارض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث بل يمشي على هينة
فيقطع من غير جهد ما لا نقطعه بالجهد وكان صلى الله عليه وسلم اذا التفت
لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة بل كان يلتفت بجميع أجزائه مرة واحدة وكان
صلى الله عليه وسلم خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة فكان لا يملأ عينيه من الاشياء لا سيما الدنيا وزخارفها
وعن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان
وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو عندي أحسن من القمر
وروي عن عائشة أنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد
كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه وكان

قضيب من الصدر الى السرة ليس على ثدييه وبطنه شعر سواها (قوله خمصان الاخمصين) أي شديد تجافيهما عن الارض وهما تثنية أخمص وهو الموضع الذي لا يمس الارض عند الوطء من وسط القدم وخمصان كعثمان وبضمتين وبفتح فسكون المبالغ فيه وذلك ممدوح بخلاف القدم الرخاء بالمد مع التشديد وهي التي لا أخمص لها بحيث يمس جميعها الارض فانه مذموم (قوله مشى بقوة الخ) وهذه مشية أهل الجلادة والهمة (قوله جل) بضم الجيم أي معظم نظره الملاحظة أي النظر بلحاظه بفتح اللام وهو شق العين

مما يلي الصدغ وقوله فكان لا يملأ أي كاهل الحرص والشره امتثالا لقوله تعالى ولا تمدن عينيك صلى
الآية (قوله اضحيان) بكسر الهمزة وسكون المعجمة وكسر الحاء المهملة وتخفيف التحتية آخره نون منونة أي
مقمرة من أولها الى آخرها (قوله فلهو عندي) أي والله لهو عندي الخ (قوله بين فصل) أي ظاهر مفصول
ممتاز بعضه عن بعض بحيث يتبينه من يسمعه ويمكنه عده وهذا أدعى لحفظه ورسوخه في ذهن السامع
مع كونه يوضح مراده ويبينه بيانا تاما بحيث لا يبقى فيه شبهة (قوله من جلس اليه) أي عنده ولو جاء لغير
سماعه ولو كافرا

(قوله بجوامع الكلم) أى بالكلمات القليلة فى اللفظ الجامعة للمعانى الكثيرة (قوله متواصل الاحزان) أى فلا يمضى حزن الا ويعقبه حزن وهو صفة الانبياء قديما اذ هو حالة الخوف وهو على قدر المعرفة وليس المراد بالحزن هنا التألم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فانه صلى الله عليه وسلم صانه الله عن الحزن فى الدنيا ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعصمه من الناس فمن أين يأتيه هذا الحزن بل كان لمزيد تفكره واستغراقه فى شهود جلاله ولا معز وجل (قوله دائم الفكرة) أى لانه متكفل بمصالح خلائق لا يحصيها الا الخالق (قوله السكت) بفتح فسكون أى الصمت (قوله لا فضول ولا تقصير) أى لا زيادة فيه عن المطلوب ولا نقصان (قوله ليس بالجافى الطبع) أى الغليظ الطبع قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (قوله ولا المهين) بضم الميم أى لا يهين من يصحبه وبفتحها (٦١) أى ليس مهينا مبتذلا بل مهيبا موقرا كيف وقد كانت ترعد منه فرائص الجبابرة وتخضع له عظماء الملوك القاهرة (قوله وان دقت) أى صغرت وقوله لا يذم بضم الذال (قوله ذواقا) بفتح الواو مخففة مصدر بمعنى اسم المفعول فهو بمعنى المذوق سواء كان مأكولا أو مشروبا ومحط فائدة ايراد هذه الجملة قوله ولا يمدحه والا فقوله لم يكن يذم ذواقا داخل فى عموم قوله لا يذم منها شيأ وذلك لان ذم ذلك شأن المتكبرين ومدحه شأن المستكثرين وهو صلى الله عليه وسلم مبرأ من كل (قوله ولا تغضبه الدنيا الخ) أى لعدم نظره اليها ومبالاته بها كيف وهو لم يخلق لها وانما خلق للآخرة (قوله فاذا تعدى) بالبناء للمجهول وقوله لم يقم لغضبه الخ أى اذا تعدى شخص الحق وجاوزه غضب صلى الله عليه وسلم عليه ولم يقم لدفع غضبه عنه شئ كهديه لانه انما كان يغضب للحق ولا يقدر الباطل على مقاومته بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وقوله حتى ينتصر بالبناء للفاعل أو للمفعول (قوله ولا يغضب لنفسه الخ) بل يعفو عن المتعدى عليه فكما حسن خلقه فلم يبق فيه حظ من حظوظ النفس وشهواتها بل تمحضت حظوظه لله سبحانه (قوله اذا أشار) أى أراد الاشارة أشار بكفه كلها أى لقصد الافهام ورفع الايهام فلا يقتصر على الاشارة ببعض الاصابع لانه شأن المتكبرين وقوله قلبها أى من غير أن يزيد على ذلك بكلام أو غيره وقوله اتصل بها أى فكان حديثه يقارن تحريكها باشارة تؤيده (قوله ابهامه اليسرى) أى ابهام يده اليسرى (قوله وأشاح) أى بالغ فى الاعراض وقوله واذا فرح أى من شئ

صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ويتكلم بجوامع الكلم كلامه فصل لا فضول ولا تقصير ليس بالجافى الطبع السيء الخلق ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيأ غير انه لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى واذا غضب أعرض وأشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم الجامع لكل خلق وخلق جميل ولله در سيدنا حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه حيث قال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرّأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

فهو صلى الله عليه وسلم قمر الحسن وشمس الكمال صلى الله عليه وسلم قال الاستاذ الحلواني مخمسا البيتين المارّين

ألا يا خير أهل النشأتين * ومشهور العلا في الخافقين

لأنت ضياء آني ثم أيني * وأحسن منك لم ترقط عيني

وأجمل منك لم تلد النساء

حبيب الله أنت بغير ريب * خصصك بالحلى من عهد غيب

ولما رحت منه بخير سيب * خلقت مبرأ من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء

(الفصل السابع)

(في فضل قرآة قصة المولد الشريف وما الأنسب فيها من الخبر المنيف)

﴿اعلم﴾ جعلني الله وإياك من المحبوبين المحبين أن أول من أحدث الفرح بمولده صلى الله عليه وسلم الملك المظفر صاحب إربل المتوفى سنة ثلاثين وستمائة فأقره عليه أفاضل العلماء وعامة الصلحاء وكان يطلق عليهم فيه العطايا ويخلع عليهم الخلع السنية ويبالغ فيما يفعله فيه من الخيرات قال في مرآة الزمان حكى من رأى سماط الملك المظفر في بعض الموالد أنه عد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية حامضة وثلاثين ألف صحن حلوي انتهى وكان يصرف عليه في كل سنة ثلثمائة ألف دينار وصنف له ابن دحية كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير وقرأه بنفسه فأجازه عليه بألف دينار وكان الامام أبو شامة شيخ النووي يكثر الثناء عليه لكثرة عنايته بذلك ثم لازال أهل الاسلام من سائر الاقطار في القرى والامصار يعملون ذلك ويعتنون به ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم وخير عميم فالاعتناء به من أعظم القربات واذا كان الحق سبحانه خفف عن أبي لهب كل ليلة اثنين بسبب فرحه بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم واعتاقه من بشرته بذلك مع أنه كافر قطما فما

غض طرفه أي عنه ولا ينظر اليه نظر شره وحرص لان الفرح لا يستخفه ولا يحركه صلى الله عليه وسلم وقوله جل الخ أي معظمه بشاشة الفم من غير مبالغة في فتحه وقوله يفتر أي يضحك ضحكا حسنا كاشفا عن سن مثل حب الغمام وهو البرد الذي يشبه اللؤلؤ (قوله إربل) بكسر الهمزة والموحدة بينهما راء ساكنة ممنوع من الصرف علم على قلعة بينها وبين الموصل مرحلتان (قوله ثم لازال أهل الاسلام الخ) أي فهو وان لم يوجد في القرون الثلاثة التي شهد المصطفى صلى الله عليه وسلم بخيريتها بقوله خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم بدعة مستحبة فهو مندوب اذ البدعة المستحبة متفق على ندبها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة

بالك

بالك بالموحد من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يفرح بمولده و يعطى
بسماحة ما تصل اليه القدرة من الصدقات فى محبته صلى الله عليه وسلم
فلعمرى انما يكون جزاؤه من المولى الكريم أن يسهل له أموره فى الدنيا ويدخله
فى الآخرة جنات النعيم وقد رأى بعض الصالحين المصطفى صلى الله عليه
وسلم فى النوم فقال له حبيبى مالمن يصنع لك مولدا و يفرح به فقال من فرح
بنا فرحنا به انتهى وفرح النبى صلى الله عليه وسلم بالشخص رضاه عنه ويلزم
منه رضا الله سبحانه وأى جزاء أعظم من رضا الله ورسوله وقد استدل الحافظ
ابن حجر العسقلانى لندب عمل المولد بأصل ثابت فى السنة معتبر وهو ما ثبت
فى الصحيحين من ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد اليهود
يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى
موسى ونحن نصومه أى شكرا لله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أنا أحق
بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه فيؤخذ منه ندب الشكر لله على ما أنعم به
فى يوم معين من ايصال نعمة أو دفع نقمة وأن يعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم كما أن
صوم يوم عاشوراء يعاد كل سنة وأى نعمة لدينا أعظم من ظهوره صلى الله
عليه وسلم فالفرح بمولده أولى والشكر عليه أحرى والشكر لله يحصل بأنواع
العبادة كالصلاة والصيام واطعام الطعام وقراءة القرآن وذكر الله تعالى والصلاة
والسلام على سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وذكر القصائد النبوية الى
غير ذلك مما لا يشتمل على شئ من المحرمات أو المكروهات أو خلاف الاولى
وأنكر بعض علماء المغرب الصيام لقياسه ذلك على يوم العيد ولكل وجهة هو
موليها وينبغى تحرى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم ومراعاة الخلاف فيه ولذا
كان الملك المظفر يعمله سنة فى الثامن من شهر ربيع وسنة فى الثانى عشر منه وذلك
لاختلاف الروايات فى يوم ولادته صلى الله عليه وسلم لكن توسع قوم فنقلوه
الى أى يوم أوليلة من السنة وهو حسن لكن التخصيص أفضل ﴿تنبيه﴾
يجب تنزيه المولد الشريف عن المحرمات كقراءة القصص التى أكثرها كذب
وكاشراف الرجال على النساء ونظرهم اليهن وعكسه اذ المعتمد فى مذهبنا أنه
حرام وقيل مكروه وذلك حيث لا شهوة ولا خوف فتنة والا حرم اتفاقا وهذا فى
النظر وحده فما ظنك اذا اختلطت الرجال بالنسوان والمرد الحسان فيجب

على كل من علم شيأ من تلك المنكرات أن ينكره و يزيله ان قدر والاوجب عليه مفارقة محل المعصية مطلقا على المعتمد وقيل بل اذا غلب على ظنه أنه يلحقه عصيانهم والاندب اذا احتمل ذلك أو قطع بعدمه بالاولى ولا يترك الشخص نحو عمل المولد الشريف من القربات لما يقترن به من المنكرات بل يفعله وعليه انكار ما يحصل من المنكر كما يتبع الجنائز ويصلى عليها وان كان معها نحو نائحة وعليه الانكار و يزور القبور والموالد الاحمدية وان اختلطت الرجال بالنساء وعليه الانكار كما في فتاوى العلامة ابن حجر وعناية الشهاب الخفاجي قال صلى الله عليه وسلم لا يحرم الحرام الحلال ۞ والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وكان الفراغ من تبييضه يوم الاثنين تاسع ربيع الثانى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

۞ يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة البهية ببولاق مصر المعزية الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى ۞

بحمد الله تم نظم هذا العقد البهيج ووشى هذا الطراز المحكم النسيج وانتهى طبع هذا المنمق البديع حسن الصنيع ألا وهو المولد الجليل عذب المنهل السلسبيل الآتى من سيره صلى الله عليه وسلم ومولده الشريف على النص والحقيقة بعبارة فائقة رائقة دقيقة تأليف النحرير الاوحد الملاذ الاسعد المتحلى بحلى الفضل الاستاذ الشيخ رضوان بن العدل لما كان بهجة للنفوس تشتاق الى استماعه اشتياق العرس الى العروس انتهض مؤلفه حفظه الله الى طبعه رغبة فى عموم نفعه بالمطبعة الزاهية الزاهرة ببولاق مصر القاهرة فجاء بحمد الله رشيق القوام مهفهف الاعطاف لطيف الانسجام ۞ فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداورية من بلغت به رعيته غاية الأمانى أفندينا المعظم ۞ عباس باشا حلمى الثانى ۞ أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه ملحوظا هذا الطبع الجميل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميرية محمد بك حسنى فى أواخر شهر جمادى الاولى عام ثلاثة عشر بعد الثمانة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم